الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الوضع الصحي بالريف الجزائري خلال العهد العثماني

(11-12هـ/ 17 -18م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد:

- بشرى جعيدير
- فتيحة داودي

إشراف:

- سعاد آل سيد الشيخ

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د/ بالحاج ناصر	أستاذ التعليم العالي	غرداية	رئيساً
دة/ سعاد آل سيد الشيخ	أستاذ محاضر أ	غرداية	مشرفاً ومقرراً
دة/ عائشة محمة	أستاذ محاضر أ	غرداية	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1445هـ/2023-2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الوضع الصحي بالريف الجزائري خلال العهد العثماني

(11-12هـ/ 17 -18م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد:

- بشرى جعيدير
- فتيحة داودي

إشراف:

- سعاد آل سيد الشيخ

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د/ بالحاج ناصر	أستاذ التعليم العالي	غرداية	رئيساً
دة/ سعاد آل سيد الشيخ	أستاذ محاضر أ	غرداية	مشرفاً ومقرراً
دة/ عائشة محمة	أستاذ محاضر أ	غرداية	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1445هـ/2023-2024م

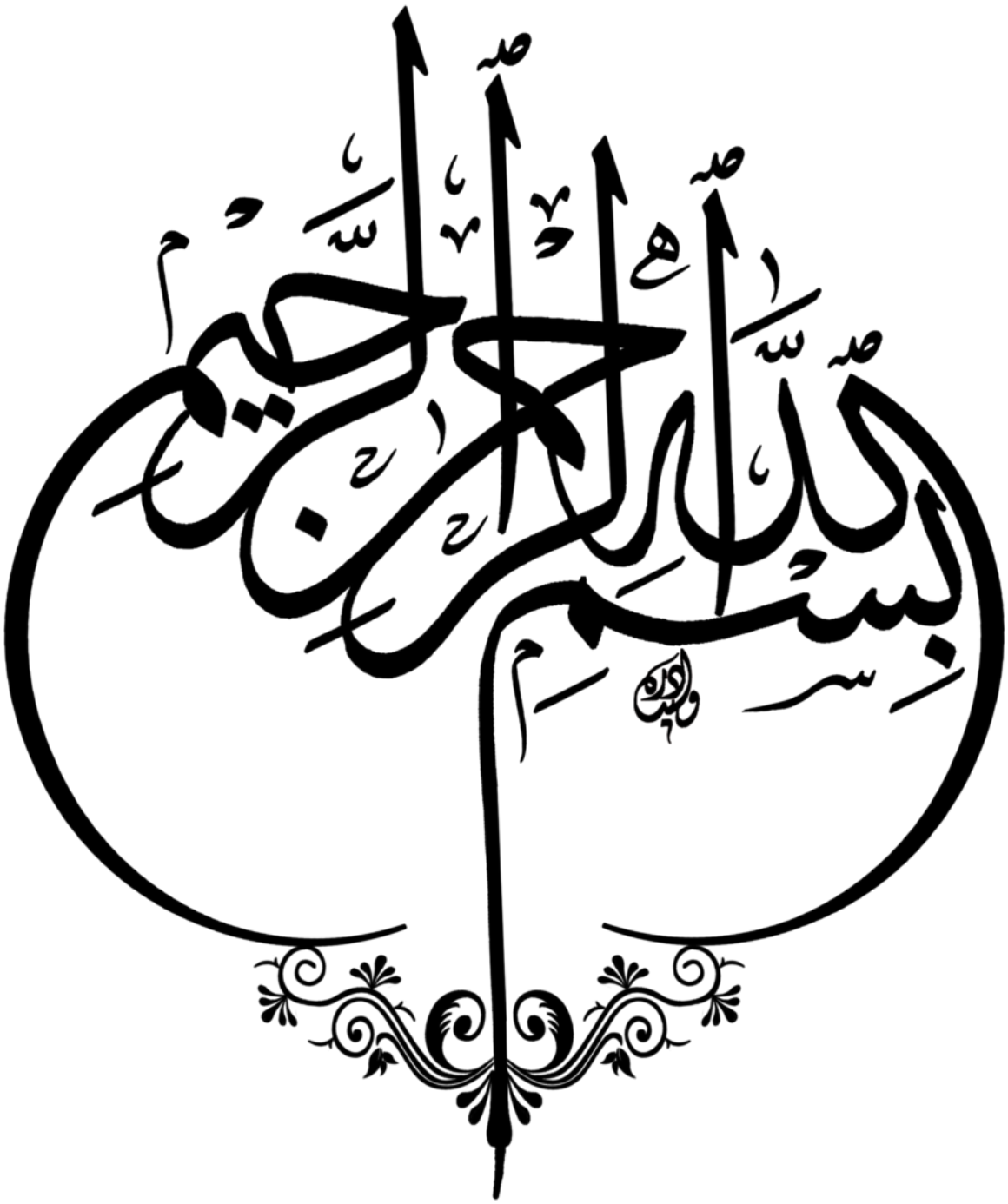
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيم

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[الشعراء: 80]

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أغدق علينا برزقه والذي أنار دروبنا ووفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

نرفع أسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الدكتورة المشرفة سعاد آل سيد الشيخ التي ساعدتنا على إنجاز بحثنا هذا، والشكر موصول لكل أستاذ أفادنا بعلمه من أولى المراحل الدراسية إلى هذه اللحظة.

كما نشكر جميع أساتذة قسم التاريخ خاصة الدكتور أحمد جعفري الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة، وكذا الدكتور محمد محدادي والدكتورة عائشة محمة، والأستاذة التي أشرفت على تربصنا ليلى دحمان، بمؤسسة الشهيد طالبي أحمد –متليلي–، والأستاذتيْن جعيدير عامرة وإيمان اللتيْن رافقتانا ووجهتانا طيلة مشوار البحث.

ونتوجه بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عبء قراءة هذا البحث وإثرائه بملاحظاتهم القيمة.

وفي الأخير نرجو أن يكون بحثنا هذا خالصًا لله وأن تكون فيه الفائدة، وأن يغفر لنا زلاتنا فيه ويثبتنا على ما وفقنا فيه ويكتبنا مع طلبة العلم.

الإهداء:

الحمد لله على لذة الإنجاز، والحمد لله عند البدء، وعند الختام.

أهدي عملي المتواضع إلى من كلله الله بالهيبة والوقار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى والدي العزيز الذي أضاء دربي وطريقي، أبقاه الله تاجا على رؤوسنا.

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها، وسهلت لي الشدائد بدعائها...إلى ملاكي في الحياة التي لو أفديتها بعمري كله لما وفيت ولو جزء بسيط من حقها، أمي الحبيبة حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى ضلع الثابت، إلى من شددت عَضُدي بهم فكانوا لي ينابيع أرتوي منها، إلى أقرب الناس إلى قلبي، إخوتي، الطاهر، محمد، عبد الصمد.

إلى خالي الذي شجعني في مساري الدراسي بكل مراحله، عبد القادر.

إلى خالاتي اللواتي كنَّ سندا وعونا لي في هذا الطريق، مريم، عمرة، حدة، إيمان.

إلى عمي عبد القادر الذي كان بمثابة أبي الثاني ووقف معي في كل المحن.

إلى من علمني أول الحروف والآيات معلمي محمد سائحي.

أهدي عملي إلى من قاسمتني عناء هذا البحث وشاركتني فرحه وهمه، من رافقتني في مشواري الدراسي فكانت نعم الأخت، فتيحة داودي.

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ومهدوا لي طريق العلم والمعرفة أساتذتي الأفاضل

وأخص بالذكر الدكتور أحمد جعفري والدكتور ناصر بالحاج.

إلى مليون ونصف مليون شهيد، إليك وطني الحبيب الجزائر.

بشرى جعيدير

الإهداء:

إلى من أمر الله ببرهما... إلى من كان دعائهما سر نجاحي... أمي وأبي.

إلى من تسعد عيني برؤيتها ... جدتي الحبيبة.

إلى من هم عزوتي وسندي في الحياة... إلى من بهم أعتمد وبهم أكبر... إخواني وأخواتي.

إلى شقيقة الروح التي لم تلدها أمي إلى التي قاسمت معي أعباء هذا البحث صديقتي بشرى.

إلى الأستاذتين اللتين مددن يد العون لنا ليكون البحث بهذه الحلة... عامرة وإيمان جعيدير.

إلى جميع أساتذتي بقسم التاريخ ممن لم يتوانوا في مد يد العون لنا.

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيبة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة عملي المتواضع.

فتيحة داودي

قائمة المختصرات:

المختصرات باللغة العربية	المختصرات باللغة الأجنبية
ـــ تح: تحقيق	الصفحة: P-
ـــ تر: ترجمة	المرجع نفسه: Ibid-
ـــ تع: تعليق	المرجع السابق: Op-cit-
ـــ تق: تقديم	
ـــ ج: جزء	
ـــ د.ت.ن: دون تاريخ نشر	
ـــ در: دراسة	
ـــ د.د.ن: دون دار نشر	
ـــ د.ط: دون طبعة	
ـــ د.م.ن: دون مكان نشر	
ـــ ص: صفحة	
ـــ ص-ص: صفحات متتالية	
ـــ ص، ص: صفحات متفرقة	
ـــ ط.ج.م.م: طبعة جديدة مزيدة ومنقحة	
ـــ ط.خ: طبعة خاصة	
ـــ مج: مجلد	
ـــ مر: مراجعة	
ـــ هـــ: هجري	

مقدمة

الحمد لله الذي علمنا من العلوم ما به كلفنا، ثم الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

خلق الله الإنسان وجعل الداء ومن نعمه أن أنزل معه الدواء، والإنسان بفطرته إذا واجهته صعوبات في الحياة يسعى جاهدا للحد منها أو التخفيف من حدتها ملتمسا مختلف الطرق والسبل في العلاج، ومنذ خليقة البشرية عُرفت معها الأوبئة والأمراض التي مست العالم بأسره، و لم تكن الدولة العثمانية بمنأى عنها، ونذكر على وجه الخصوص إيالة الجزائر، وبالحديث عن الجزائر يجرنا الحديث عن أريافها التي تعتبر اللبنة الرئيسية التي يقوم عليها الكيان الاجتماعي، ونظرا لأن مجتمع الجزائر مجتمعا ريفيا كان أكثر عرضة للأوبئة والأمراض الفتاكة التي ازدادت حدتها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي، ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا الموسومة بالوضع الصحي بالريف الجزائري خلال العهد العثماني (11-12هـ/ 17-18م)، والتي ركزت على الوضع الصحي إذ من خلاله نستطيع إعطاء صورة ولو بسيطة عن مختلف الأمراض والأوبئة التي عصفت بالريف الجزائري، هذا الأخير الذي يعد ركيزة المجتمع.

وقد اخترنا الريف الجزائري كإطار مكاني نظرا لقلة الدراسات فيه، وكذا لأن الريف في هذه الفترة مثل نسبة 95 بالمئة من مجموع السكان، أما بالنسبة للإطار الزماني فقد ركزنا على القرنين السابع عشر والثامن عشر لأن الأوبئة والأمراض في الجزائر بلغت ذروتها في هذه الحقبة.

وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع فهناك دوافع موضوعية وأخرى ذاتية، فالدافع الموضوعي تمثل في قلة الدراسات في المجال الاجتماعي وخاصة الصحي منه وبالتحديد في الأرياف، أما بالنسبة للدوافع الذاتية فميلنا الشخصي لمثل هذه المواضيع بالإضافة لاطلاعنا ودراستنا في العام الفارط لهذا الموضوع ومنه تشكلت لدينا فكرة البحث فيه، زد على ذلك تشجيع الأستاذ المشرف للخوض في غمار هذا البحث.

لطالما شكلت الأوبئة والأمراض أول سبب في تراجع الوضع الصحي الذي يعتبر المرآة العاكسة للواقع الاجتماعي، وقد شهدت الجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية موجات من الأوبئة والأمراض كان لها آثارا وخيمة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحتى السياسية، ومن هنا جاءت

إشكالية الدراسة كالتالي: كيف كانت الأوضاع الصحية بالريف الجزائري في ظل السلطة العثمانية؟ وهل أوجدت حلولا لمعالجة الأوبئة والأمراض التي فتكت بها؟

وتندرج تحتها مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

- كيف نميز بين بين الريف والبادية؟
- ما مفهوم المرض والوباء؟ وهل هناك فرق بين الوباء والطاعون؟
- ما الظروف المؤثرة على الوضع الصحي بالأرياف الجزائرية؟
- كيف انتقلت الأمراض والأوبئة للجزائر؟
- بماذا كانت تفسر الأمراض والأوبئة؟ وكيف تعامل الحكام وعامة الناس معها؟
- إلى ماذا لجأ سكان الأرياف في التداوي والعلاج آنذاك؟
- كيف أثرت هذه الأوبئة على البنية الديمغرافية والأنشطة الاقتصادية؟

وللإجابة على الإشكالية المطروحة قمنا برسم خطة تعالج موضوع دراستنا، تحوي في مجملها مقدمةً ومدخلًا وثلاثة فصول وذُيِّلت بخاتمة.

فالمدخل كان عبارة عن عملية رصد عام للأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائر العثمانية.

والفصل الأول جاء بعنوان مفاهيم ومعطيات أولية حول الريف الجزائري خلال العهد العثماني، والذي احتوى على ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول فبسطنا فيه مفهوم الريف والبادية والفرق بينهما، والمبحث الثاني تطرقنا فيه للفئات السكانية بالريف الجزائري، والتي قسمناها إلى قسمين الأول على أساس عرقي، والثاني على أساس تلك العلاقة التي ربطت الحاكم بالمحكوم، والمبحث الثالث خصصناه للأنماط السكنية بالريف الجزائري والتي تنوعت بدورها إلى قرى تلية، وقرى صحراوية، والدواوير والخيم والأكواخ.

وخصصنا الفصل الثاني للأوبئة والأمراض ظروفها وطرق انتشارها بالريف الجزائري خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان مفهوم المرض والوباء، والمبحث الثاني استعرضنا فيه الظروف المؤثرة على الأوضاع الصحية، والتي تمثلت في ظروف طبيعية وأخرى اجتماعية، مع الإشارة إلى طرق انتشار الأوبئة والأمراض، وصولا للمبحث الثالث الذي تم التركيز فيه على أبرز الأوبئة والأمراض المنشرة بالأرياف الجزائرية.

والفصل الثالث موسوما بسبل العلاج من الأوبئة والأمراض وانعكاساتها على الريف الجزائري، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول وقفنا فيه على نظرة سكان الأرياف للأوبئة والأمراض، وطرق مواجهتها من قبل السلطة وعامة الناس، وبالنسبة للمبحث الثاني فعرجنا فيه إلى وسائل وطرق العلاج من الأمراض والأوبئة والمتمثلة في اللجوء للأطباء والمشعوذين، والصيدلة والتداوي بالأعشاب، زد على ذلك العلاج ببركة الأولياء الصالحين وكرامتهم، أما في المبحث الثالث أشرنا إلى انعكاسات الأوبئة والأمراض على الريف الجزائري، وتوصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج حول الموضوع.

يكتسي موضوعنا أهمية بالغة نظرا لأن الوضع الصحي يعتبر موضوعا هاما في تاريخ الجزائر الحديث لما له من تأثير بليغ على مختلف الأصعدة، وكان الهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على الأوبئة والأمراض التي اجتاحت الريف الجزائري مع تحديد مصادرها، وطرق تسربها، وكيف كان يتم التعامل معها من قبل السلطة والعامة، لتكون لنا نظرة استشرافية حول كيفية التعامل والوقاية مع مثل هذه الجوائح والأمراض.

ومن الأعمال التي سبقتنا في دراسة هذا الموضوع نجد:

- أطروحة دكتوراه لفلة موساوي القشاعي، والتي جاءت تحت عنوان: "**الصحة والسكان أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي من 1518-1871**"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004م، والتي كانت بمثابة حجر الزاوية لموضوعنا خاصة في الفصل الثاني وذلك بتحديد الأوبئة التي عصفت بالجزائر وعلى رأسها وباء الطاعون.

- أطروحة دكتوراه لسعاد آل سيد الشيخ، تحت عنوان: **"الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1440-1441هـ/ 2019-2020م، والتي أفادتنا في الفصل الأول خاصة في جزئية الفئات السكانية والأنماط السكنية بالريف الجزائري.

- أطروحة دكتوراه لخير الدين السعدي، والموسومة بـــ: **"المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني(1700-1830)"**، أطروحة مقدمة لنيل شهاد الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، (2018-2019)، والتي استفدنا منها في الفصل الثاني من خلال إحصاء السنوات التي ضرب فيها الطاعون خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بالإضافة إلى عنصر الظروف المؤثرة في تدهور الأوضاع الصحية.

- أطروحة دكتوراه لكمال بن صحراوي، والتي جاءت بعنوان: **"أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني"**، وهي الأخرى أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2012-2013، وأخذنا منها طرق بعض العلاج الشعبي منه التداوي بالأعشاب حيث تطرق لكل عشبة على حدى ودواعي استخدامها، وكان هذا في الفصل الثالث من العمل.

- رسالة ماجستير لعثمان بوحجرة **" الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 (مقاربة اجتماعية)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران1، 2014-2015، والتي كانت مصاحبة لدراستنا في معظم مراحلها لاسيما في وصف حالة الطب في الجزائر، وأبرز الأطباء المحليين، وكان ذلك في الفصل الثالث.

وبالنظر لطبيعة موضوع دراستنا، ومن أجل الإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي في التعريف بما تعلق بالحالة الصحية في الريف الجزائري، ووصف أعراض الأوبئة والأمراض وما انجر عنها من نزيف ديمغرافي، وتراجع الأنشطة في مختلف المجالات، مع وصف مختلف الأساليب والسبل العلاجية المعتمدة آنذاك، ويتخلله المنهج الإحصائي والذي اعتمدنا عليه في الفصل الثاني من خلال الإشارة لسنوات ظهور الأوبئة وإحصاء عدد ضحاياها.

ولإنجاز هذا العمل اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع ولعل أهمها ما يلي:

1/ المصادر:

- حمدان بن عثمان خوجة: "**المرآة**"، الذي يعتبر مؤلفه من المؤلفين المخضرمين، وهو كتاب مهم جدا لمعرفة تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، واستعنا به في معرفة حالة الطب عند أهل البوادي القاطنين بالسهول، والذين يعتمدون على الطبيعة في مختلف مبادئ التطبيب، وذلك في الفصل الثالث.

- محمد بن يوسف الزياني: "**دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**"، اعتمدنا عليه في الفصل الثاني حيث ذكر الوباء الذي اجتاح بايلك الغرب مما أدى بجل الناس في الحضر للانتقال إلى الأرياف، وهو ما أدى إلى انتقال العدوى لها، و لم يقتصر هذا الأمر على الناس فقط بل عم حتى البايات الذين انتقلوا مع أهاليهم إلى البدو.

- عبد الله بن محمد العياشي: "**الرحلة العياشية 1661-1663**"، والتي تتميز بالمسار الجغرافي الهام الذي مسحته، فقد انطلقت هذه الرحلة سنة 1661 من سجلماسة لتصل إلى القاهرة مرورا بالجزائر هذه الأخيرة التي شد انتباه صاحب الرحلة الوضع الصحي لسكان جنوبها، فكان يصف المجاعات والأوبئة في المدن والقرى ويقدم أحيانا أرقاما إحصائية لعدد الضحايا.

2/ المراجع:

- أبو القاسم سعد الله: "**تاريخ الجزائر الثقافي**"، والذي يعتبر موسوعة تاريخية في التاريخ الثقافي للجزائر في العصر الوسيط والحديث، فهو مرجع أساسي لابد لأي باحث في التاريخ الاستعانة به في أي موضوع سواء كان اجتماعي أو سياسي أو ثقافي، وقد اعتمدنا على الجزء الثاني الذي يخص الفترة العثمانية في عنصر نظرة سكان الأرياف للأوبئة والأمراض، بالإضافة إلى عنصر جلب الدايات الأطباء من أوروبا، وذلك في الفصل الثاني.

- بلبراوات بن عتو: "**المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**"، والذي استقينا منه ضبط مصطلح الريف، ونمط عيش سكان الأرياف، وكان ذلك في الفصل الأول.

- أمين محرز: "**الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)**"، والذي أفادنا في الفصل الثالث في تحديد آثار الأوبئة على التركيبة السكانية في الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

- أرزقي شويتام: "**نهاية الحكم العثماني في الجزائر وانهياره 1800-1830**"، حيث استعنا به في عنصر طرق انتشار الأوبئة والأمراض للجزائر، في الفصل الثاني.

- مؤلفات ناصر الدين سعيدوني المتعددة في المجال الاجتماعي والاقتصادي للجزائر العثمانية، ونخص بالذكر كتابه "**الجزائر في التاريخ العهد العثماني**"، وهو عمل مشترك مع الشيخ المهدي بوعبدلي، والذي استفدنا منه في الفصل الثاني من العمل وبالتحديد في جزئية السنوات التي ضربت فيها المجاعات، وكتابه الآخر "**النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830)**"، أخذنا منه عنصر طرق انتشار الأوبئة والأمراض، بالإضافة إلى كتاب "**ورقات جزائرية**"، والذي أفادنا في الفصل الأول في عنصر الفئات السكانية بالريف الجزائري.

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات والعراقيل، ومن الصعوبات التي اعترضتنا نذكر:

- صعوبة التحكم في هذه الدراسة بفضاء جغرافي واسع كفضاء الريف الجزائري.

- صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع كونها غير متوفرة إلكترونيا.

- قلة الدراسات المتخصصة في الوضع الصحي خصوصا في الريف كون معظم الدراسات في الفترة العثمانية تتحدث عن المدن.

- ضيق الوقت لأن مثل هذه الدراسات تحتاج لوقت أوسع، لو أسعفنا الوقت لاستطعنا الانتقال للمكتبات المتواجدة في العاصمة للحصول على مصادر أصلية كالمخطوطات مثلا.

لكن رغم كل الصعاب حاولنا قدر المستطاع تجاوز البعض منها بحيث تحصلنا على بعض المصادر والمراجع ورقيا التي لم تكن متوفرة إلكترونيا بمساعدة بعض الأساتذة، ورغم صعوبة تحديد الدراسات المتخصصة في موضوعنا إلا أننا استقينا منها ما يخدم هذا البحث.

وأخيرا وفي ختام هذا التقديم نحمد الله –سبحانه وتعالى–على توفيقه لنا في الإلمام ببعض جوانب هذا الموضوع، ثم نتوجه بجزيل الشكر للجنة المناقشة التي وافقت على مناقشة هذا العمل ولكل من ساعدنا في إتمام فصوله من قريب أو بعيد.

مدخل: الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائر العثمانية

بدأ التواصل بين الجزائر والدولة العثمانية مطلع القرن السادس عشر ميلادي وذلك بانتقال الإخوة بربروس لحوض البحر الأبيض المتوسط، غير أن هذه الاتصالات لم تكن بشكل رسمي كون الجزائر كانت تعيش حالة من عدم الاستقرار السياسي والتفكك الداخلي.[1]

ومنذ سنة 1519م أصبحت الجزائر إيالة عثمانية رسميا حيث رفعت راية السلطنة على مشارف المدينة ونودي باسم السلطان في المساجد، وتم تعيين خير الدين بربروس بيلربايا عليها[2]، وذلك من خلال رسالة الاستنجاد التي بعث بها أهالي وأعيان الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية، وبهذا أعطى الحُكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي أصبحت تُعرف به بعد انضمامها للدولة العثمانية، بعدما كان يقتصر فقط على المدينة التي أصبحت مركز الحكومة العثمانية، كما أدخل العثمانيون مفهوم الحدود السياسية إلى المغرب العربي الحديث بعد القضاء على الفوضى الداخلية السائدة في معظم مناطق الجزائر.[3]وقد أحدث الدخول العثماني تغييرات في مختلف المجالات منها السياسية والاقتصادية. ففيم تجلى هذ التغيير؟

أولا/ الأوضاع السياسية:

1-التقسيم الإداري:

قسمت الجزائر خلال العهد العثماني إلى أربع بايلكات:

أ-بايلك الجزائر أو دار السلطان: ويشمل جغرافيا خمس مدن هي الجزائر، البليدة، القليعة، شرشال، ودلس، وخارج تلك المناطق تتواجد قبائل تخضع مباشرة لأوامر الأغا أو تحت أوامر خوجة الخيل، ويمتد البايلك شرقا إلى واد سيباو، وغربا إلى التيطري وتنس.

ب-بايلك التيطري: عاصمته المدية وهو مقسم إلى أربع قيادات: قيادة الظهراوية، وقيادة تل القبلة، وقيادة الديرة أو سور الغزلان، وقيادة الجنوب.

---

[1]- عائشة جميل: **الجزائر والباب العالي من خلال أرشيف العثماني 1520-1830**، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الحديث المعاصر، إش: صحراوي عبد القادر، جامعة جيلالي يابس، سيدي بلعباس، 2017-2018، ص: 43.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، د.ط، د.م.ن، 2003، ص: 39.

[3]- محمد خير الدين فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث، ط1، جامعة دمشق، 1969، ص: 55.

ج-بايلك الغرب: كانت عاصمته مازونة ثم معسكر ثم وهران، وينقسم إلى ثلاث قيادات آغا الدواير، آغا الزمالة، وخليفة الباي.

د-بايلك قسنطينة: يمتد إلى حدود تونس، ويتميز بانعدام نفوذ الأتراك مقارنة ببقية البايليكات الأخرى.[1]

2-نظام الحكم:

لقد عَرف التنظيم السياسي للجزائر خلال العهد العثماني عدة تطورات يمكن تمييزها من خلال المراحل التي مر بها نظام الحكم، حيث تم تقسيم التواجد العثماني في الجزائر على النحو التالي:

أ-مرحلة البيلربايات (1518-1587م):

وتعد هذه المرحلة من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، حيث تميزت بتفوق البحرية وتصاعدها، وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة اليولداش[2]، كما تميزت بكثرة الأعمال العمرانية، وشهدت هذه المرحلة العديد من الحملات نحو الداخل لتوسيع رقعة الإيالة منها حملة صالح ريس على ورقلة سنة 1552م، وبهذا توحدت الجزائر سياسيا.[3]

ب-مرحلة الباشاوات (1587-1659م):

تم تحديد فترة الحكم في هذه المرحلة، حيث يتعين الباشا لمدة ثلاث سنوات وهو ما أحدث انفصالا بين الوالي والشعب حيث أن الباشا أصبح همه جمع أكبر قسط من الأموال.[4]

---

[1]- صالح فركوس: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، عنابة، 2005، ص: 158.

[2]- **اليولداش:** قوة عسكرية نظمها خير الدين وهي عبارة عن لفيف أجنبي حقيقي، والانخراط في هذه الفرقة يمكن صاحبها من الحصول على العديد من الامتيازات ومن بينها الإعفاء من دفع الضرائب، اشتهر جنودها بالشجاعة والاقدام، كما اشتهروا بانعدام الثقافة والعنف، وكانت أعلى الرتب العسكرية تمنح للأتراك بالدرجة الأولى، أما الجزائريين كانوا يبعدون من الرتب العسكرية العليا. ينظر: مبارك بن محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط، الجزائر، 1964، ج3، ص-ص: 123، 124.

[3]- مؤيد محمود المشهداني: "أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مج5، ع16، نيسان، 2013، ص: 418.

[4]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص:137.

ج-مرحلة الآغوات (1659-1671م):

كان الآغوات يعينون من الفرق الانكشارية مدة شهرين فقط، وهو ما جعل أغلب أفراد الإنكشارية يطمعون في الوصول إلى منصب الأغا، في هذه المرحلة شهدت الجزائر عدة اضطرابات داخلية واشتد الصراع بين رياس البحر والانكشاريين، كما تعرضت البلاد إلى العديد من الغارات الأوروبية منها غارة القائد الفرنسي "بوفور" على مدينة جيجل عام 1664م، عين الانكشاريون خلال ثلاثة أيام مجموعة من الآغاوات لكنهم رفضوا تولي منصب الأغا لخطورته، وبهذا استغل رياس البحر الفوضى التي سادت البلاد وتم تعيين أحد رياس البحر حاكما على الجزائر تحت اسم الداي.[1]

د-مرحلة الدايات (1671-1830م):

في بداية هذه المرحلة (1671-1830م) كان يتم اختيار الدايات من بين صفوف الرياس نظرا لنفوذهم وثرواتهم ومكانتهم في وسط الأهالي، ولكن بعد تراجع سلطتهم إثر ضعف الجهاد البحري أصبح الداي يختار من بين قادة الأوجاق الذين ظلوا يتقلدون منصب الداي حتى نهاية الحكم العثماني(1689-1830م)، وفي هذه المرحلة ضعفت روابط الجزائر بالدولة العثمانية وأصبح هناك نوع من الاستقلالية، و لم يبحث الديوان في سلطة الباشا واقتصرت الروابط بين البلدين على تقديم فروض الطاعة للسلطان باعتباره الخليفة الشرعي للمسلمين وهو ما جعل العلاقة لا تتعدى نطاق المصلحة المشتركة بين الجزائر والدولة العثمانية[2]، وكانت الجزائر مستقلة في ميزانيتها ولها عملة خاصة بها ولها مجلسان استشاريان إلى جانب الحاكم (مجلس الشورى، والديوان).[3]

لقد مرت الجزائر بفترات حكم متذبذبة، بين مد وجزر من تطور وتوسع قصري إلى تفكك واضطرابات، وصولا إلى الاستقلال والتفرد بالحكم، ومع هذا التغيير كانت الجزائر تعيش مع الحكام الذين كان همهم الوحيد جمع الأموال واستغلال المنصب لأغراض ذاتية.

---

[1]- أرزقي شويتام: "طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519-1830)"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مج4، ع1، جامعة الجزائر2، جوان2022، ص: 107.

[2]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1984، ص: 15.

[3]- شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا -تونس-الجزائر-المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1977، ص: 101.

ثانيا/ الأوضاع الاقتصادية:

انتعش النشاط الاقتصادي خلال العهد العثماني نتيجة عوائد الجهاد البحري وتأثير طائفة الأندلسيين، لكن هذا الوضع لم يبقى على حاله بعد منتصف القرن السابع عشر إلى غاية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م حيث بدأ الاقتصاد يتدهور شيئا فشيئا وذلك بفعل العديد من العوامل الخارجية والداخلية كالاعتداءات الأوروبية، وكذلك تأثير الأمراض و الأوبئة التي لعبت دورا بارز في تراجع وتقهقر الأوضاع الاقتصادية بشكل عام و الزراعة على وجه الخصوص، بالإضافة إلى الضرائب المجحفة تجاه كل الأنشطة الاقتصادية الزراعة، الصناعة، التجارة، ويمكن التفصيل في هذه الأنشطة على النحو التالي:

1-الزراعة:

تنوعت أصناف الأراضي الفلاحية وتميزت باتساع مساحتها الممتدة على مختلف أقاليم الدولة مما نتج عنه تنوع في منتجاتها ومحاصيلها[1]، وهذا ما يدل على أن الجزائر في هذه الفترة تعتبر بلدا فلاحيا بامتياز كونها تنتج كميات هائلة من القمح والشعير، أما بالنسبة لمراعيها فتزخر بأنواع الحيوانات كالأبقار والأغنام والماعز والبغال، ويذكر بأن سهل متيجة يعتبر من أجمل الأراضي وأوسعها في العالم نظرا لمناخها وخصبتها وموقعها[2]. وقد كان القمح من المحاصيل الزراعية الهامة في الجزائر، وكانت الأنواع الصلبة وحدها التي تزرع في الإيالة،[3] أما بالنسبة لوسائل وأساليب العمل فقد كانت تقليدية وبسيطة مثل محراث إفريقيا الرومانية الذي لم يخضع لأي تعديل، والمنجل الذي يعود لنفس العهد وقنوات الري التي تعود إلى القرن الحادي عشر.[4]

---

[1]- محمد الصالح بلعقون: "نظام الأراضي الفلاحية في عهد الدولة العثمانية بالجزائر (1519-1830م)"، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**، مج 6، ع3، جانفي2022، ص:10.

[2]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر،1972، ص:57.

[3]- سبنسر وليم: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، د.ط، الجزائر، 2006، ص:143.

[4]- صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1515-1830**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر،2012، ص:143.

ويقول شارل أندري جوليان أن الأدوات الزراعية ظلت بسيطة للغاية و لم تعمل السلطة على تطويرها و لم يكن لدى الفلاح سوى محراث بسيط أو سكة محراث خشبي تعزز غالبا بنعل حديدي ويجره ثوران ويضاف أحيانا مشط خشبي أو حزمة من الأشواك التي توضع عليها الحجارة ومنجل مستقيم، أما بالنسبة للأندلسيين فقد ابتكروا طرقا جديدة في الري وأدخلوا عدة زراعات كزراعة القطن، غير أن التأثير في مجال الزراعة اقتصر على المناطق التلية التي استقروا بها و لم يشمل باقي المناطق الداخلية،[1]ورغم تنوع المحاصيل الزراعية إلا أن الفلاحة في الجزائر كانت تعاني من عدة عراقيل وصعوبات حالت دون تطورها وازدهارها، وتعود هذه الصعوبات إلى الظروف الصعبة التي يعيشها الفلاح الجزائري، فقد كان معرضا للحملات العسكرية ومهددا من طرف قبائل المخزن، زيادة على أنه معرضا للأمراض والمجاعات التي كانت تجتاح البلاد بين الحين والآخر.[2]

2-الصناعة:

النشاط الصناعي في الإيالة الجزائرية كان عبارة عن حرف وصناعات تقليدية يمارسها الأفراد وبعض الجماعات الصغيرة على نطاق خاص وحر، وكانت مضبوطة وفق قوانين سنتها الدولة العثمانية،[3] وقد اعتمدت الصناعات المحلية اليدوية في نشاطها على إرضاء متطلبات السوق سواء في المدن أو الأرياف، وعرفت الجزائر تمركز أهم المنشآت الصناعية والتي كانت متمثلة في دار الصناعة ودار النحاس وغيرها وكانت هذه المنشآت تابعة مباشرة للبايلك، وارتبط الإنتاج الصناعي بعاملين أساسيين هما الاستغلال المنجمي والإنتاج الغابي.[4]

وعلى العموم فإن الصناعة في الجزائر خلال العهد العثماني بفرعيها التقليدي والتحويلي تميزت بعدة خصائص، فقد اعتمدت على المواد الأولية المتوفرة في البلاد كالصوف والجلد والخشب، كما

---

[1]- رضوان شافو وعمر لمقدم: "نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج1، ع1، جوان 2017، ص: 66.

[2]- ناصرالدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، البصائر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2012، ص: 35.

[3]- عبد الفتاح بن جدو: "نظرة على الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج 06، ع 01، 2022، ص :508.

[4]- أمال وناسي: **الحرف والصنائع في الجزائر العثمانية في عهد الدايات 1671-1830**، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إش: حفيظة لعياضين جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 1442-1443هـ/ 2021-2022م، ص:14.

اتجهت الصناعة المحلية البسيطة في البوادي إلى تلبية الحاجيات الضرورية للعيش، أما بالنسبة للصناعة في المدن فقد حافظت على طابعها عبر توارثها من جيل لآخر مثل صناعة الحلي والجواهر والعطور وغير ذلك.[1]

وقد شملت الصناعة في الجزائر معظم المهن التقليدية والحرف اليدوية التي كانت معروفة في الأقطار الإسلامية وكذا البلاد الأوروبية، ومن هذه الصناعات نذكر: صناعة السفن والأسلحة، الصناعات الغذائية، صناعة الصابون التي اختصت بها بعض المدن كقلعة بني راشد وبلاد القبائل، الصناعات التحويلية والتي تتعلق بمواد البناء وتذويب المعادن كالحديد والفضة والزنك، صناعة النسيج والحلي وغير ذلك.[2]

3-التجارة:

التجارة في الجزائر شأنها شأن جميع البلدان نوعان تجارة داخلية وأخرى خارجية.

أ-التجارة الداخلية:

كانت تتم في المدن والأرياف سواء في الأسواق المحلية أو الجهوية.[3]وقد اعتمدت التجارة في بلاد المغرب بشكل عام والجزائر بشكل خاص على الفلاحة والحرف المهنية، كما ارتبطت بحركة القوافل القادمة من مختلف المناطق محملة بسلع متنوعة منها ذات المصادر النباتية وأخرى ذات مصادر حيوانية،[4]والتجار الذين في المدن ينظمون ضمن هيئات يشرف على كل هيئة أمين يجمع الرسوم المفروضة على كل تاجر، ويسلمها للمصالح الإدارية، اما في الأسواق والمعارض، فالتاجر يدفع الرسوم قبل الدخول إليها، وكان السكان يعتمدون على تجارة المقايضة كأفضل طريقة لأن النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة.[5]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر**، مرجع سابق، ص:14.

[2]- خضير عقبة: "النشاط الاقتصادي بالجزائر في العهد العثماني ما بين القرن 17-19م -دراسة تاريخية -"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، ع06، ص-ص: 239، 240.

[3]- نصيرة نواصر: "لمحات عن الوضع التاريخي في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني"، **مجلة البحوث التاريخية**، مج06، ع 02، 31 ديسمبر، 2022، ص: 494.

[4]- محفوظ سعيداني: **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني (مقاربة تحليلية)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إش: فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر2، 2011، 2012، ص: 232.

[5]- محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص-ص: 64، 65.

ب-التجارة الخارجية:

إن التجارة الخارجية للجزائر خلال العهد العثماني كانت محدودة وقليلة جدا، واقتصرت على نشاط اليهود وطائفة الأندلسيين الوافدين للجزائر وقلة قليلة من المسلمين، وتركزت تجارة اليهود على الغنائم التي يحضرها القراصنة من غزواتهم في البحر، وكان اليهود يبيعون الغنائم البحرية في كل من إيطاليا وإنجلترا والنمسا وغيرها من المدن الأوروبية، وتتم هذه التجارة بواسطة عملاء لليهود، وقد حقق اليهود أموالا طائلة جراء هذا العمل، كما عمل بعضهم على بيع الذهب وتصنيعه وتصريف العملات.[1] وهنا يتضح لنا أن اليهود كانوا يحتكرون التجارة وليست أي تجارة، بل كانت تجارتهم تمس السلع ذات الدخل الوفير.

أما بالنسبة للفرنسيين فقد كان لهم مركز تجاري بعنابة يشتغل بتجارة الحنطة والشعير والخضار الجافة والجلود والعسل والشمع وهذا المركز يعتبر مركزا مهما بالنسبة لمقاطعة البروفانس الفرنسية كما حققت الشركة الإفريقية التي يقع مركزها في مرسيليا أموالا طائلة بفضل هذه التجارة.[2]

إن التجارة الخارجية للجزائر كانت مبنية على عدة أسس كقوة الأسطول البحري والموقع الاستراتيجي الهام وتنوع المناخ وكذا تنوع الانتاج الزراعي والصناعي وهو ما أدى إلى تسابق الدول الأوروبية بربط علاقاتها معها، إلا أن هذه التجارة تراجعت بسبب عجز الميزان التجاري والامتيازات التي كانت تحظى بها الدول الأوروبية من طرف الدولة العثمانية داخل الجزائر.[3]

استقر الاقتصاد الجزائري وما لبث حتى انتكس ويرجع ذلك إلى الهجمات الخارجية والأوضاع المزرية آنذاك مع فرض الضرائب، أما الزراعة فقد كانت مصدر الرزق الأساسي كون الريف يحوي أكبر تجمع سكاني، ورغم ذلك فإنها كانت بسيطة و لم يسع الحاكم لتطويرها بل اكتفى بتحقيق حاجيات الشعب وحسب، ثم الصناعة التقليدية والتي اعتمدت على اليد العاملة فقط وما يتوفر من

---

[1]- عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 بيروت، 1409هـ، 1989م، ص، ص: 145، 146.

[2] - هابنسترايت: **رحلة العالم هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ، 1732م)**، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، د.ط، تونس، د.ت.ن، ص: 94.

[3]- عز الدين بلعيدي: "التجارة الخارجية للجزائر أواخر العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية والأثرية**، مج 03، ع 01، 2023/04/30، ص: 13.

مواد أولية في البلاد، أما التجارة فقد كانت داخلية وخارجية لكنها كانت تحت قبضة اليهود والأندلسيين مع محدوديتها بحسب ما تجلبه من مكاسب مالية.

الفصل الأول: مفاهيم ومعطيات أولية حول الريف الجزائري

المبحث الأول: تعريف الريف والبادية والفرق بينهما

المبحث الثاني: الفئات السكانية للمجتمع الريفي

المبحث الثالث: الأنماط السكنية بأرياف الجزائر

تضاربت الآراء حول تحديد مفهوم كل من الريف والبادية فكلاهما أخذ معاني ومفاهيم متعددة، فهناك من يرى أنهما يحملان نفس المعنى، وهناك من أوجد فروقا طفيفة بين البادية والريف، هذا الأخير الذي اتسم باختلاف البنية الاجتماعية حيث تَشكل من مجموعة من السكان قُسِّمت فِآتها إلى العرب والأمازيغ، ومجموعات عشائرية أخرى عُرفت بالقبائل التي منها من كانت موالية للسلطة، ومنها ما كانت معارضة لها، وكان لهذه الفئات السكانية أنماط معيشية خاصة بها سواء في اللباس أو الغذاء أو الإيواء الذي تميز بطابع معماري خاص.

المبحث الأول: تعريف الريف والبادية والفرق بينهما

عرف سكان الجزائر خلال العهد العثماني نمطين من أساليب الحياة، فبعضهم اعتمد على الاستقرار واختار العيش في المدينة، والبعض الآخر اعتمد على التنقل والترحال وما تقدمه لهم الطبيعة فاختاروا الريف، هذا الأخير الذي شكل محور اهتمام المؤرخين وبهذا تعددت مفاهيمه التي كان معظمها يصب في قالب واحد، كما ارتبط مصطلح البادية بالريف فهناك من تطرق لمفهوم البادية بمفهوم الريف وهناك من فصل بينهما. فما تعريف الريف والبادية؟ وما الفرق بينهما؟

أولا/ تعريف الريف:

– **لغة:** يعرفه الفيروزبادي على أنه: " الأرض التي فيها زرع خصب، والسعة في المأكل والمشرب، أو حيث الخضر والمياه والزروع، ويقال أرض ريِّفة وأَرْيَفَتْ أي أخْصبَتْ"[1]. ونفس المعنى نجده في المعجم الوسيط "الريف يقصد به الأرض التي فيها زرع وخصب، ويطلق على ماعدا المدن والقرى والكفور، والسِّعة في المأكل والمشرب، الجمع: أرياف، ريوف، والرَّيفة من الأرض المخصبة"[2].

أما روبرت فورنو يعرف كلمة الريف على أنها تعني أرضا مزروعة خصبة، كما تعني ظاهر شيء ما[3].

---

[1]– الفيروزبادي: **القاموس المحيط**، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشايب وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، د.ط، القاهرة، 1429، 2008، ص: 688.

[2]– مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، 1425، 2004، ص:386

[3]– روبرت فورنو: **عبد الكريم أمير الريف قصة التحدي العربي للاستعمار الفرنسي والاسباني**، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، د.ط، د.م.ن، د.ت.ن، ص:08.

ونجد تعريفا آخرا للزبيدي في تاج العروس "يقال تَرَيَّفَ إذا حضر القرى، وهي المياه، ورافت الماشية رعته، أي الريف، وهي الأرض ذات الخصب"[1].

– **اصطلاحا:** يحمل مفهوم الريف نفس مفهوم القرية فإن لم يكن تصريحا فبالأوصاف التي توحي بالمعنى، إن أهل القرى كانوا أصحاب زرع ونخيل وفواكه وخيل وشاء كثير وإبل، إذ أنهم المستوطنون الذين أغراهم عثورهم على الماء.[2]

ويطلق مصطلح الريف على المناطق السهبية والتلية، ويمارس أهله بعض الحرف، وفلاحة الأرض، وتربية الماشية، أما بالنسبة للمسكن في الأرياف فنجد بعض السكان يسكنون القرابي أو الأكواخ وهذا في المناطق الجبلية، والبعض الآخر يسكن القرى والخيام في السهول.[3]

فالريف مرتبط بالزراعة والخصب في المعاش حيث أنه يحدد النشاط الاقتصادي، لذلك نجد أن القاطنين بالسهول الفسيحة كسهول متيجة، وهران، وبونة، والسفوح الشمالية لسلسلة الأطلس التلي مارسوا النشاط الزراعي حيث التربة الخصبة والمناخ المعتدل وامتهنوا صناعات متعددة.[4]

ثانيا/ تعريف البادية:

– **لغة:** ذُكرت كلمة البدو في القرآن الكريم لقوله تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[يوسف:100]

كما وردت لفظة البادية أو أهل البادية في الأحاديث النبوية مرات عديدة منها:

---

[1]– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: عبد الفتاح الحلو، مر: مصطفى حجاري، التراث العربي، د.ط، الكويت، 1406 1986، ص: 390، 370.

[2]– حازم حسني زيود: "مفهوم القرية ودلالتها في القرءان الكريم دراسة موضوعية"، **مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث**، مج 02، ع 02، 2016، ص: 03.

[3]– بلبراوات بن عتو: **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2016، ج2 ص:449.

[4]– سكينة عميور: **ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص تاريخ الريف والبادية، إش: إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة، 1433-1434هـ/ 2012- 2013م، ص: 05.

"عليه مسحة أهل البادية" و "من سكن البادية جفى" وهذا ما يدل على الطبيعة البدوية القاسية وأيضا " لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية" لجهله بأحكام الشرع[1].

أما القاموس المحيط فورد فيه مفهوم البادية على النحو التالي: "البدو والبادية والبداة والبداوة: خلاف الحضر. وتبدى: أقام بها. وتبادى تشبه بأهلها. وبدا القوم بدا: خرجوا إلى البادية "[2].

ويعرفها الفراهيدي" البادية: اسم للأرض التي لا حضر فيها أي لا محلة فيها دائمة، فإذا خرجوا من الحضر إلى المراعي والصحاري قيل: بدوا بدوا"[3].

– **اصطلاحا:** اقترن مفهوم البادية بمفهوم الأعراب في العهد الإسلامي الأول، فالبادية هي ذلك المجال الجغرافي للقبائل البدوية التي تعتمد على الترحال، وتعددت مفردات البادية مثل: أهل الوبر، وأهل العمود نسبة إلى الخيام، وأهل الإبل وأهل الغارة نسبة لاستعمالهم الرماح[4].

أما ابن خلدون ذكر أهل البدو على أنهم:" المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرين على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن...يتخذون البيوت من الشعر والوبر والشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة"[5].

وينقسم سكان البادية إلى ثلاثة أصناف، البدو الرحل وهم أهل الوبر وبيوتهم من الشعر وهم في حالة ترحال دائم بحثا عن الكلأ والماء، والبدو النصف الرحل وهم أهل الغنم، ولا يرتحلون بشكل

---

[1]– محمد حسن: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، د.ط، د.م.ن، جوان1999، ج1، ص: 87.

[2]– الفيروزبادي: المصدر السابق، ص: 105.

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين مرتب على حروف المعجم**، تر وتح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ / 2003م، ج1، ص: 119.

[4]– عادل بديرة: **بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرهما على السلوك والذهنيات) من ق 4 إلى ق 7هـ، 10-13م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إش: مفتاح خلفات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 1438-1439هـ، 2017-2018م، ص: 20.

[5]– عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.م.ن، د.ت.ن، ص.64

كبير عكس البدو الرحل، والقسم الثالث القبائل المستقرة وهم الفلاحون الذين استقروا نهائيا وتفرغوا للزراعة وتربية المواشي[1].

يسكن بدو الجزائر في الغالب التلال، أي في شمال الصحراء، وهناك عدد كبير منهم يقطن الصحراء، وعملهم الفلاحة وتربية الماشية، يعيشون في الخيم المصنوعة عادة من جلود الحيوانات، والتي تكون منخفضة وضيقة[2].

أما عن ازدواجية المعنى بين الريف والبادية يذكر العنتري في وصفه لأحوال الزراعة بالجزائر خلال العهد العثماني ما يلي: "أنك لا تجد في ذلك الزمان ولا في الذي قبله وبعده من يهتم من أمر الزرع أبدا، ومن أجل بخس قيمته...فلا تجد معتنيا بها إلا أهل البادية قدر ما يكفيهم لاقتياتهم فقط وأصحاب المخزن"[3]. ومن هنا نلاحظ بأن العنتري لم يفصل بين مصطلح الريف والبادية حيث ربط الزراعة بأهل البادية الذين من سمتهم الترحال في حين أن الزراعة تعتمد على الاستقرار الذي يرتبط بالريف، وبهذا يتضح بأن الريف والبادية وجهان لعملة واحدة حسب رأي العنتري.

أما بالنسبة لوجه الاختلاف بين الريف والبادية يذكر بن عتو بأن البدو هم الرحل من سماتهم عدم الاستقرار، والتنقل من كان آخر، وسكان الريف يتجمعون في شكل قرى قبيلية في الشمال والجنوب الجزائري يتشابهون مع سكان المدينة في الاستقرار إلا أنهم يختلفون عنهم في التنظيم والتخطيط العمراني والنمط المعيشي، وبالتالي يمكن اعتبار هذه التجمعات الريفية التي توزعت عبر ربوع الجزائر العثمانية مراكز حضرية تعيش مرحلة انتقالية لبلوغ مرحلة التمدن[4].

ومما سبق يمكن القول أن هناك اختلافا بين البادية والريف والذي يكمن في سمة العيش، حيث أن سكان الريف يتميزون بالاستقرار ويمتهنون الزراعة وفلاحة الأرض، في حين أن سكان البادية من سمتهم الترحال ويسمون البدو الرحل لأنهم يتّبعون المناطق التي يكثر فيها الماء، بالإضافة إلى الرقعة

---

[1]- أحمد اسبيتان شواورة: **مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد، إش: خليل رقوع، جامعة مؤتة، د.م.ن، 2015، ص-ص: 16، 17.

[2]- هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا**، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1976، ص: 76

[3]- صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د.ط، د.م.ن، 1394هـ-1974، ص: 35.

[4]- بن عتو: **المدينة والريف**، مرجع سابق، ج2، ص: 450.

الجغرافية التي يتمركزون فيها، فسكان الريف يستقرون في المناطق السهبية والجبلية في حين أن سكان البدو يختارون الصحراء.

المبحث الثاني: الفئات السكانية للمجتمع الريفي

تباينت الدراسات التاريخية التي تطرقت للتركيبة السكانية حول تقسيم فئات المجتمع، وهذا باختلاف أغراض تلك الدراسات، فمنها من ركز على العرب و لأمازيغ، والآخر على تلك العلاقات التي ربطت الحاكم بالمحكوم، والتي ضمت مجموعات عشائرية عرفت بالقبائل. وعليه يمكن طرح التساؤل: ما الفئات السكانية المشكلة للمجتمع الريفي بالجزائر العثمانية؟ وكيف كانت علاقة السلطة بسكان الأرياف؟

أولا/ العرب الأمازيغ:

كان العرب والأمازيغ السكان الرئيسيين للريف الجزائري وكانوا يعيشون وفق تنظيماتهم الموروثة وكل مجموعة قائمة على أساس قبلي خاص بها بينما الأتراك لم يسكنوا الأرياف بل قاموا بزيارات خفيفة للأراضي التي يملكونها أي أنهم يأتون للأرياف حسب مصالحهم الشخصية فقط، كما أن هناك بعض العائلات اليهودية تقيم في بعض المناطق الريفية إلا أن الأغلبية الساحقة لليهود كانت تسكن في المدن، ويرجع السبب في ذلك إلى القوانين التي لم تكن تعطي الشرعية للعنصر اليهودي في امتلاك الأراضي[1].

ومن بين القبائل العربية التي كانت تقطن الأرياف نجد عرش أولاد نايل الذي يعتبر من أشهر قبائل الصحراء الجزائرية وأكثرها عددا، ويذكر أن جدهم الأول اسمه الشريف نايل، وقد امتدت فروع النوايل إلى منطقة شاسعة في جبال الأطلس الصحراوي وسميت باسمهم بجبال أولاد نايل، كما انتشرت هذه القبيلة في البوادي حيث كانوا ينتشرون مع قطعان الإبل والأغنام في ربوع صحراء الأغواط، وفيما يخص سكنهم نجدهم يعيشون في بيوت من الشعر ذات اللون الأحمر والأسود وهي

[1]- كمال بن صحراوي: **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، إش: دحو فغرور، جامعة وهران، 2012-2013م، ص: 242.

الخيم المميزة للنوايل، وينقسم أولاد نايل إلى أربعة بطون وهي: أولاد أم لخوة، أولاد عيفا، أولاد الأعور، أولاد سيدي محمد المبارك[1].

أما بالنسبة للقبائل البربرية فنجد عرش بني ورصوص الذي يتواجد في شمال غرب تلمسان ويبعد عنها حوالي 60 كلم، ويصل أفراد هذا العرش إلى 3972 نسمة، ويعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات وغالبا ما يسكنون منازل بسيطة مبنية بالحجارة والطين وبعضها مغطاة بالقرميد المحلي والآخر عبارة عن أكواخ مغطاة بالحشائش، وهذه القبائل مستقلة أثناء العهد العثماني[2].

ثانيا/ القبائل:

يتشكل سكان الأرياف من مزيج من القبائل المختلفة التي توزعت على كافة الأرياف الجزائرية، ومارست مختلف الأنشطة السياسية، والاقتصادية والثقافية، هذه القبائل كانت بمثابة القلب النابض للأرياف، وهي قبائل المخزن، قبائل الرعية، القبائل المتحالفة، والقبائل الممتنعة.

كان المجتمع الجزائري مجتمعًا ريفيا بامتياز، حيث تمثل نسبة السكان في الريف حوالي 95 بالمئة، بينما توزعت 5 بالمئة الباقية على المدن، فالريف توزع سكانه إلى مجموعات عشائرية عرفت بالقبائل التي تخضع لشيوخها وأهل الرأي فيها، تفرعت كل قبيلة على عدد من العائلات وصل تعدادها في المتوسط إلى اثني عشر خيمة أو منزل[3]، ويمكن التفصيل في هذه القبائل على النحو التالي:

- قبائل المخزن:

تعتبر هذه القبائل حلقة وصل بين الأهالي والحكام ورابطة متينة شدت المحكوم إلى الحاكم، وحافظت هذه القبائل على تماسك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية نظرا للمهام الإدارية والعسكرية المكلفة بها، فهي قبائل موالية للسلطة وتسير بأمرها، ويمكن تعريف قبائل المخزن من حيث تكوينها بأنها عبارة عن تجمعات سكانية مختلفة في أصولها وأعراقها منها من أعطيت لها الأراضي لتستقر فيها،

---

[1]- محمد سليمان الطيب: **موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية**، دار الفكر العربي، ط2 مز ومن، 1418هـ/1997م، مج1، ص:1026.

[2]- لخضر عبدي: **القبيلة والطريقة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: مكحلي محمد، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 1435-1436هـ /2014-2015م، ص: 34

[3]- ليلى تيتة: "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع17، ديسمبر 2014، ص:138.

ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة، وفي النهاية كل هذه الأعراق والأجناس تؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحا مباشرة بخدمة الحكومة التركية، وفي المقابل تكون لها امتيازات تتميز بها عن بقية القبائل الأخرى كالتمتع بالأمن والحماية وإعفائها من دفع الضرائب الإضافية كاللزمة والغرامة والمعونة وغير ذلك[1].

انتشرت قبائل المخزن في بايلك الشرق والغرب والتيطري ونواحي دار السلطان، وهذا يعني أنها لم ترتكز في مناطقة معينة بل شملت معظم المناطق، وتتمركز بشكل خاص في الأراضي السهلية بالقرب من الأبراج والحصون الريفية وفي الأماكن التي تقام فيها الأسواق الأسبوعية وأيضا في الأماكن الثائرة والمهددة بالغزو الأجنبي وهذا على امتداد البايلكات ومقاطعات الجزائر العثمانية، أما بالنسبة لمهامها العسكرية فتقوم باستخلاص الضرائب من قبائل الرعية، وكذلك قمعها للقبائل المعادية والثائرة على سلطة البايلك[2].

- قبائل الرعية:

هي القبائل التي لم تحظ بأي امتياز من السلطة التركية وكانت تدفع الضرائب والرسوم المختلفة، وكانت وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تكن خاضعة للسلطة المركزية لأنها تقطن في مناطق وعرة ويصعب على القوات التركية أن تتواجد فيها بشكل دائم[3].

وقد تعرضت قبائل الرعية للاضطهاد والإكراه والاستغلال المستمر من طرف السلطة من جهة وقبائل المخزن من جهة أخرى وذلك من خلال الضرائب الثقيلة التي تقع على عاتقها بالإضافة إلى بيع محاصيلها الزراعية وبأسعار زهيدة، ويتم الضغط على هذه القبائل بشكل كبير من طرف السلطة وقبائل المخزن وهو ما أدى إلى تفككها[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، ط2 منقحة، الجزائر، 2008، ص-ص: 206، 207.

[2]- سعاد آل سيد الشيخ: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إش: أحمد الحمدي، جامعة وهران، 1440-1441هـ/ 2019-2020م، ص-ص: 186، 187.

[3]- صالح عباد: مرجع سابق، ص:367.

[4]- العربي بلعزوز: "الواقع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر خلال الفترة العثمانية"، **مجلة العلوم التربوية والاجتماعية**، مج5، ص:539.

- القبائل الممتنعة:

تتكون من القبائل القاطنة في المناطق الصحراوية والجبلية وهذا الموقع الجغرافي جعلها تعيش شبه مستقلة عن السلطة، واستطاعت هذه القبائل تحقيق اكتفاء اقتصادي، ولا تحتاج لأي خدمة من خدمات الدولة العثمانية[1].

بقيت هذه القبائل بعيدة عن السلطة ومتحصنة في المناطق الجبلية كالأوراس والونشريس[2].

امتنعت هذه القبائل عن دفع الضرائب بسبب بعدها عن مراكز الإدارة وكان رفضها يرجع لطبيعة نشاطها حيث كان مقتصرا على الزراعة التي كانت تحقق اكتفاءًا ذاتيًا فقط[3].

- القبائل المتحالفة:

وهي الفئة التي تتعامل مع السلطة عن طريق الشيوخ والزعماء المحليين معتمدة على نفوذهم الديني بالإضافة إلى كفاءتهم الحربية، والعائلات التي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة غلب عليها الطابع الروحي " المرابطين" في غرب البلاد، وفي شرق البلاد وجنوب التيطري" الأجناد "، أما في مناطق جرجرة والبابور والصومام اعتمدت بعض العائلات في فرض سلطتها على أصولها العريقة " الأشراف"[4].

ومن المشيخات الوراثية التي اعتمدتها السلطة نجد آل مقران بمجانة، وابن عاشور بفرجيوة، وأولاد قاسم بالهضاب العليا، وأيضا ابن قانة بالزيبان وابن زعمون بجرجرة، وذلك من أجل الوقوف في وجه كل مناهض للسلطة[5].

---

[1]- يوسف بن عمراني وزيان العمري: **المدينة والريف في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1836 (إقليم مدينة قسنطينة أنموذجا)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إش: بيرم كمال، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020، ص:66.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص:46.

[3]- وئام زلاقي وفاطمة الزهراء زغبة: **علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الممتنعة (1800-1830)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022، ص:41.

[4]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: مرجع سابق، ص:108.

[5]- ناصر الدين سعيدوني: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس -طرابلس الغرب) من القرن 10 إلى 14هـ / 16 إلى 19م**، قسم التاريخ، كلية الآداب، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية – الحولية الحادية والثلاثون – 1431هـ / 2010م، جامعة الكويت، ص:65.

فالأتراك العثمانيون منذ مجيئهم للجزائر عملوا على كسب العناصر الدينية التي تتمتع بنفوذ كبير في أواسط السكان إلى صفهم ليكون حكمهم للبلاد غير مباشر بل يكون عن طريق أهلها أنفسهم[1].

- المرابطون:

وهم الذين تكمن قوتهم وهيبتهم في اعتمادهم واستخدامهم للجانب الديني في شتى المواضع، وكان أغلب سكان الأرياف يخشونهم وينفذون أمورهم، أما بالنسبة لدور هذه الفئة فيتمثل في تقديم المشورة والتوسط بين القبائل والسلطة بغرض حل النزاعات والخلافات التي كانت تحدث من حين لآخر لكي تضمن أمن وسلام القوات العثمانية في هذه المناطق (الأرياف)، وقد قيل أن القوات العثمانية لا يمكن لها عبور جبال جرجرة دون أخذ ضمانات المرابطين المؤثرين في تلك المناطق، كما كانت هذه الشخصيات الدينية تحظى ببعض الامتيازات من طرف الحكام لضمان ولائها لهم، وكانت تمنح لهم بعض الهدايا ليتوسطوا بينهم وبين القبائل المتمردة والعاصية، وهذا ما يدل على أن المجتمع الريفي بمختلف فئاته كان يسير وفق المعايير التي تحددها وتسطرها الزعامات المحلية القبلية والدينية فلا يمكن لأي فرد ألا يستجيب لأوامر شيخ قبيلته لأن القوانين العرفية في المجتمع الريفي كانت تتسم بالصرامة الأمر الذي جعل معظم أفراد القبائل يخضعون ويطيعون زعاماتهم، وكل من خرج عن هذا العرف يكون مصيره العزل ولا يحظى بالدعم في أوقات الحاجة من جماعته[2].

- الأجواد:

وهم الذين فرضوا وجودهم وسلطتهم بالقوة في المناطق التي يعيشون فيها، ويطلق عليهم أيضا مصطلح النبلاء، اعترف الأتراك بهذه الفئة ونفوذها لكن في كثير من الأحيان يعلنون الحرب عليهم، ويحدثون صراعات بين عائلاتهم وينصفون عائلة أو فرع ضد آخر، ومن نماذج هذه الجماعة نجد الدواودة، وأمراء بني عباس وأحرار الحنانشة في القرن السادس عشر، والقرن السابع عشر تظهر جماعات أخرى كأولاد بن عاشور وأولاد عز الدين، كان قادة الأجواد يجبون الضرائب ويجمعون

---

[1]- كاميلية دغموش: **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إش: محمد دادة، جامعة وهران، 2013-2014، ص، ص: 113، 114.

[2]- أرزقي شويتام: مرجع سابق، ص:117.

الغنائم دون تدخل السلطة المركزية بشكل مباشر لكن السلطة كانت تحاربهم حين تشعر بأن قوتهم باتت تهددها[1]

المبحث الثالث: الأنماط السكنية بأرياف الجزائر خلال العهد العثماني

سعى الإنسان منذ القدم إلى توفير مسكن خاص به يوفر له الأمن والراحة، وقد اختلف المسكن باختلاف البيئة والطبيعة، وقد تشكلت أنماط عمرانية في كل منطقة جغرافية خاصة بها، ويعد المسكن من أهم مظاهر العمران كما يقول ابن خلدون "...العمران هو التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش"[2]. ومنه نتسائل: ما الأنماط التي اعتمدها سكان الأرياف في سكنهم؟ وهل هي كالأنماط في المدن؟

يمكن أن نميز عددا من الأنماط العمرانية بأرياف الجزائر خلال العهد العثماني كالآتي:

أولا/ القرى التلية:

انتشرت القرى الريفية بالمرتفعات الجبلية وكان يقطنها القبائل البربرية بالخصوص في إقليم سيباو بباليك الشرق، واستراتيجية هذا النمط من البناء المعماري كحصانة ومناعة دفاعية جعلت من هذه القبائل تتخذه موطنا لها ليسهل عليها التصدي للهجومات الخارجية للأعداء[3].

ويؤكد شلوصر ذلك من خلال قوله:" ولذلك يبنون قراهم فوق قمم الجبال، ليحموا أنفسهم من الغارات، وإذا اقترب عدو من مساكنهم، فإنهم ينادون بعضهم بعضا من جبل إلى آخر، وبعد فترة قصيرة يتدجج الجميع بسلاحهم، وتحيط بالقرى أسوار محصنة جدا[4].

أما وليام شالر فقد قال عنهم "والقبائل يسكنون الجبال دائما ويفضلون قممها، حيث يقطنون في قرى يسمونها دشرة تتكون من أكواخ مبنية بالطين والوتل"[5]

---

[1]- صالح عباد: مرجع سابق، ص-ص:362،363.

[2]- ابن خلدون: مرجع سابق، ص:26.

[3]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص: 138.

[4]- فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي(1737-1832)**، تر وتق: أبو العيد دودو، عاصمة الثقافة العربية، د.ط، الجزائر، 2007، ص:98.

[5]- وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)**، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1982، ص:114.

أما من حيث نمط السكن "فيسكن القبائلي القرى والمدن الصغيرة نقية الهواء، فالبيوت مبنية من الحجارة على الطريقة الأوروبية وفي الخارج تحيط بها الحدائق وغابات الزيتون".[1]
والقبائل لا يستخدمون المدخنة والنوافذ لذلك الضوء لا يدخل إلا من الباب ومنه يخرج الدخان، وهو ما يسبب لأفراد الأسرة أمراض العيون، أما المطبخ فيكون في وسط المنزل ويجتمع فيه كافة الأفراد لتناول الطعام على الأرض، وتخصص قاعة للمواد الغذائية السنوية مثل الشعير والتين والزيت تحفظ في قلل أو جرار فخارية، بالإضافة لقاعة أخرى مخصصة لمبيت بعض الحيوانات [2]تبيت مع أفراد الأسرة.

ونفس نمط العيش عاشته قبائل الأوراس التي تقطن في الجهة الجنوبية للجبال التي تمتد من جنوب قسنطينة بين باتنة وبسكرة، وقد ذكر ابن خلدون أن بعضًا من قبائل الهلاليين كانت قد استقرت في منطقة الأوراس وامتزجت بين البربر والشاوية[3].

ثانيا/ القرى الصحراوية (القصور والبيوت المعزولة):

تطلق تسمية العمارة الصحراوية على العمارة التي نشأت في مناطق الصحارى الحارة ومن ضمنها الصحراء الجزائرية، وتتسم هذه المناطق بحرارتها المرتفعة وقلة أمطارها، بالإضافة إلى مساحتها الشاسعة، وتشترك هذه الظروف في فرض واقع معين على الإنسان يجبره على الإبداع في بناء مسكن ومأوى يمكنه من العيش في هذه البيئة القاسية بما يتوفر من موادها المحلية[4]، أما بالنسبة لمواد البناء التي كان يستخدمها سكان الأرياف في بناء القرى الصحراوية، فكانت تتشكل من الطوب والطين وهذا ما أكده الأغواطي في قوله: "وقد بنيت بلدة الاغواط من الطين بالدرجة الأولى غير أن بعض المنازل مبنية بالحجر والملاط[5]"، وفي بعض الأحيان كانت البيوت تبنى بالحجر والطين مثل قرية

---

[1]– شلوصر: المرجع سابق، ص: 96.

[2]– سعاد آل سيد السيخ: المرجع السابق، ص–ص: 139، 140.

[3]– شالر: المصدر السابق، ص:122.

[4]– مبارك قبابلة: **تطور مواد البناء وأساليب البناء في العمارة الصحراوية**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، تخصص آثار صحراوية، إش: بن قربة صالح، جامعة بسكرة، 2009–2010، ص:15.

[5]– **الملاط:** تملط الشيء تملس، الملاط هو الطين الذي يطلى به الحائط ويجعل بين كل لبنتين أو آجرتين أو حجرين. ينظر: المعجم الوسيط: مصدر سابق، ص: 885.

تجمعوت[1]، وقرية عين ماضي التي وصف بناءها الناصري في قوله: " وبها مسجد على ربوة، مبني بأحجار كبيرة تحاكي الأحجار المنجورة[2] باستقامة وليست منجورة"[3].

وتصنف أشكال العمارة الصحراوية حسب تجمعاتها إلى ما يلي:

1-القصور:

القصر في المناطق الصحراوية عبارة عن تكتلات سكنية متراصة تسكنها فئات بشرية تنتمي لأصول عرقية أو طبقات اجتماعية واحدة أو مختلفة، وتوجد أمام مداخل القصور مساحة واسعة تعرف بالرحبة مخصصة للاستعداد لعمل حربي أو لعمل جماعي، كما تستغل لأغراض أخرى كمحط للقوافل التجارية، أو لتجمع الحجاج وغيرها من الأغراض، وتحتوي بداخلها على قصبة أو اثنين، ومسجد جامع عادة ما يطلق عليه الجامع الكبير أو العتيق[4].

تسمى القصور في بعض المناطق بالدشرة أوالأغام أوإغام، وتنتشر هذه القصور بالجنوب الجزائري حيث قصور وادي ريغ ومنطقة ورقلة، لتتجه في الجنوب الغربي نحو اقليم توات بتديكلت وقورارة وفي نفس المسار الغربي تتجه نحو بني ميزاب وجبال العمور لتواصل امتدادها حتى جبال القصور[5].

تقع القصور الصحراوية فوق قمم الجبال أو سفوحها أو على هضبات صخرية صلبة تسهل عملية الدفاع عنها، وتمكن من استغلال عنصر الماء وتوزيعه بطريقة مضبوطة ومحكمة، كما تتميز بارتباطها بالجانب الفلاحي فهي تقع بالقرب من أراض صالحة للزراعة لهذا فجل القرى الصحراوية تحيط بها واحات النخيل التي تعتبر الأساس الاقتصادي لسكانها[6].

---

[1]- الحاج ابن الدين الأغواطي: **مجموع رحلات**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2011، ص88.

[2]- **المنجورة:** تعني حجارة منحوتة، مأخوذة من فعل نجر ويعني نحت الخشب. ينظر: المعجم الوسيط: مصدر سابق، ص: 903.

[3]- ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية (1709-1710)**، تح وتق: عبد الحفيظ الملوكي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، د.ط، د.م.ن، 2008-2009، ص:131.

[4]- هجيرة تمليكشت: "مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية للجزائر (مساكن قصر تمنطيط نموذجا)"، **مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب**(15)، ص:309.

[5]- سعاد آل سيد الشيخ: "ملامح من المظاهر العمرانية بالريف والبادية في الجزائر العثمانية قراءة في بعض كتب الرحلة"، **مجلة الدراسات التاريخية**، مج 10، ع02، 03 أكتوبر، 1444هـ -2022م، ص:349.

[6]- مبارك قبابلة: مرجع سابق، ص:16.

2-البيوت المعزولة:

تنتشر في مختلف مناطق الصحراء منازل معزولة عن التجمعات العمرانية، ولا يتم العيش فيها إلا حسب الحاجة إليها، فبعض البيوت المعزولة تكون مخصصة لعابري السبيل ولا يتجاوز أفرادها عشرة أفراد، وبعضها تستعمل عند جني المحاصيل وتتواجد في الغيطان (جمع غواط) والواحات، وفي بعض الأحيان تخصص للخدم[1].

ويقيم بعض البدو بيوتا معزولة موسمية قرب المراعي، وإضافة لهذه الأنماط العمرانية، نجد الخيام التي كان سكان البدو يسكنونها ذلك بسبب التنقل مع مواشيهم بحثا عن الماء والمرعى، وإن كانت الخيام لا تندرج ضمن مسميات العمارة، إلا أنها قامت بوظيفتها السكنية عهودا طويلة ولا تزال[2]. وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

ثالثا/ الدواوير والخيام والأكواخ:

تتشكل القبيلة[3] العربية من عدة دواوير أو تجمع خيام تربطها مصالح مشتركة تخضع لرئيس يسير أمورها، فالدوار يعتبر قرية ريفية متكونة من مجموعة خيام، وتستعمل كل خيمة في السكن، وعادة ما نجد عدة دواوير تشكل قبيلة واحدة، والذي يحكم الدوار شيخ يطلق عليه "شيخ الدوار"، وبالنسبة لسكان السهول عادة ما نجدهم من القبائل يسكنون الأكواخ والخيام هذه الأخيرة التي تكون على شكل دائرة ومنها أخذ اسم دوار، ويسكن الدوار رب عائلة ويكون حوله أقربائه وأولاده، وهو معيار عائلي داخل القبيلة[4].

ويصف حمدان خوجة الخيام بقوله: "إنها من الوبر، وهو قماش مضلع أو بالألوان الأخرى، وتأخذ هذه الخيام شكلها المكور أو المثبت بواسطة أوتاد من الخشب"، يخصص جزء من الخيمة

---

[1]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، مرجع سابق، ص:153.

[2]- مبارك قبابلة: مرجع سابق، ص:18.

[3]- **القبيلة:** تتألف من مجموعة أسر متعددة، تنحدر كلها من جد وأصل واحد، ويختلف حجمها حسب اختلاف عدد الأسر والتفرعات التي تنشأ عنها فأحيانا تكون صغيرة وأخرى كبيرة ذات فروع كثيرة، وتحتل رقعة جغرافية واسعة، وعاداتها وتقاليدها مشتركة، ولرئيس القبيلة سلطة كبيرة على مجموع أسرها وهو الذي يمثلها لدى القبائل الأخرى ويدافع عن مصالحها. للمزيد ينظر: يحي بوعزيز: "الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، **مجلة الثقافة**، ع80، 1مارس1984، الجزائر، ص: 161.

[4]- بن عتو: مرجع سابق، ص-ص:460 ،461.

للمطبخ وتربى فيه الدواجن أيضا، أما الجزء الآخر للخيمة مخصص لاستقبال الضيوف والاجتماعات الودية[1].

فرضت البيئة الريفية نوعا من العمران المتمثل في الأكواخ والقرى التلية، البيوت المعزولة، والدواوير، والخيم وهذا تماشيا مع الطبيعة الجيولوجية والمناخية في تلك المنطقة، إلا أن هذه الأنماط تميزت بطابعها البدائي وهو ما أثر سلبا على الحالة الصحية لسكان الأرياف حيث أنهم يعيشون مع الحيوانات في نفس المكان وبالضرورة تقل النظافة في هذه الأماكن إن لم نقل تنعدم، وبهذا تكون الحيوانات مصدرا لانتقال بعض الأوبئة.

وانطلاقا مما تم عرضه في هذا الفصل توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

- اختلفت الآراء حول ضبط مصطلح الريف والبادية فالبعض ربط الريف بالبادية والبعض الآخر فصل بينهما، ونستطيع القول بأن أهل الريف يتميزون بنوع من الاستقرار وسكان البادية عرفوا بالبدو الرحل نظرا لعدم استقرارهم لأنهم يتبعون مواطن الماء.
- تنوعت الفئات السكنية في الريف الجزائري واختلف في تصنيفها، هناك من صنفها على أساس عرقي بحيث يشمل الريف العرب والأمازيغ، وهناك من صنفها على أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم بحيث يشمل قبائل المخزن والرعية والمتحالفة وأخرى ممتنعة.
- الأرياف الجزائرية شهدت خلال العهد العثماني تنوعا في الأنماط السكنية فمنها من كان يقطن الأكواخ ومنها من يقطن الخيام، وهناك أيضا القرى والقصور.

[1]- حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، منشوراتANEP، د.ط، الجزائر،2006، ص-ص:33،34.

الفصل الثاني: الأوبئة والأمراض ظروفها وطرق انتشارها بالريف الجزائري خال القرنين 17 و18

المبحث الأول: مفهوم المرض والوباء

المبحث الثاني: الظروف المؤثرة على الأوضاع الصحية بالأرياف الجزائرية وطرق وصول الأوبئة إليها

المبحث الثالث: أبرز الأوبئة والأمراض المنتشرة بالأرياف الجزائرية

شهدت الجزائر عدداً من الأوبئة والأمراض الفتاكة، والتي ساهمت في تفشيها العديد من العوامل منها الطبيعية كالجراد والجفاف والمجاعة حيث وصل الأمر بالناس لأكل لحوم بعضهم البعض، أما الاجتماعية فتمثلت في الغذاء المتلوث وغير الصحي، وكذا الألبسة خاصة تلك التي يكون أصحابها مصابين بالداء وبهذا تنتقل العدوى، وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر لم تكن بؤرة لهذه الأوبئة والأمراض بل انتقلت إليها بواسطة العديد من الطرق منها القوافل الحجية، والمراسلات والاتفاقيات نظرا لانفتاح الجزائر على العالم الخارجي، وكذا حركة البحرية الجزائرية مع العديد من سفن وموانئ الدول الأخرى، ومن أبرز الأوبئة التي اجتاحت الجزائر نجد الطاعون: هذا الوباء الخطير الفتاك الذي أفنى البلاد والعباد في المدن والأرياف، وزيادة على الأوبئة انتشرت في الجزائر العديد من الأمراض منها حمى المستنقعات وأمراض العيون التي فتكت بالبلاد وأثرت على مختلف المجالات. ومنه نتساءل: ما أبرز الأوبئة والأمراض التي شهدتها الجزائر خلال القرنين 17 و18م؟

المبحث الأول: تعريف المرض والوباء

شكلت الأوبئة والأمراض خلال العهد العثماني وخاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ظاهرة مثيرة للاهتمام، وقد تبين أن الطاعون كان من أهم الأوبئة المنتشرة في هذه الفترة بدون منازع، وكما هو معروف أن المرض عندما ينتشر خارج حدود زمنية ومكانية معتادة فإنه يصل إلى الوباء هذا الأخير الذي شكل جدلية مع الطاعون فهناك من يقول بأن الطاعون هو نفسه الوباء في حين أن هناك من فصل بينهما، ولإزالة الغموض على القارئ حاولنا شرح هذه القضية الجدلية.

أولا/ تعريف المرض:

– **لغة:** جاء في القاموس المحيط أن لفظة مرض مشتقه من مرض يمرض مرضا، " قيل المرض بسكون الراء يختص بالنفس وبفتحها بالجسم، وقيل المرض كل ما خرج بالإنسان عن حد الصحة من علة ونفاق وشك وفتور وظلمة ونقصان وتقصير في أمر[1]".

[1]– بطرس البستاني: **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية**، ص:846.

كما وردت لفظة المرض في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]

ويعرفه ابن منظور على أنه السقم أي نقيض الصحة، ويكون للإنسان والبعير ويقال: أتيت فلانا فأمرضته أي وجدته مريضا، والممراض الرجل المسقام والتمارض يعني أن يري من نفسه المرض وليس به، وفي الجمع مرض ومراضى ومراض.[1]

أما في المعجم الوسيط فالمرض يعني كل ما خرج بالكائن الحي عن حد الصحة والاعتدال من علة أو نفاق أو تقصير في أمر[2]، ويشاركه في هذا التعريف ابن القيم "المرض هو كل ما يخرج العضو عن هيئته الغير طبيعية إما في شكل، أو تجويف، أو مجرى، أو خشونة"[3].

والجوهري يعرف المرض على أنه السقم، وقد مرض فلان وأمرضه الله قال يعقوب يقال: أمرض الرجل: إذا وقع في ماله العاهة. والممراض: الرجل المسقام. ومرضته تمريضا: إذا قمت عليه في مرضه، والتمريض في الأمر: التضجيع فيه، والتمارض: أن يري من نفسه المرض وليس به، وعين مريضة: فيها فتور[4].

– **اصطلاحا:** المرض نقيض الصحة، فهو يضعف أعضاء الجسم، كما يمنعه من القيام بوظائفه وممارسة أنشطته بصورة طبيعية[5]، وقد عرفه الأطباء المسلمون على أنه "حالة يكون فيها العضو في الجسم فاشلا جزئيا أو كليا عن أداء وظيفته"[6].

---

[1]– أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: **لسان العرب**، نشر أدب الحوزة، د.ط، إيران، محرم 1405هـ، مج7، ص:231.

[2]– مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: **المعجم الوسيط**، مصدر سابق، ص:864.

[3]– ابن قيم الجوزية: **الطب النبوي**، تح: عبد الغني عبد الخلق وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، د.ت.ن، ص:04.

[4]– الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، راجعه: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، د.ط، القاهرة، 1430هـ-2009م، ص:1074.

[5]– أحمد محمد كنعان: **الموسوعة الطبية الفقهية**، تق: محمد هيثم الخياط، دار النقاش، د.ط، بيروت، د.ت.ن، ص:845.

[6]– راغب السرجاني: **قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية**، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1430هـ/ 2009م، ص:73.

ويذكر الباحث غازي الشمري في كتابه "الطبيب ابن زهر الأندلسي" عن أطوار المرض وصيرورته ما يلي: "وأعلم -أيدك الله-أن جميع الأمراض أربعة أوقات، ابتداء وتزيد، وانتهاء، وانحطاط"، أي أن المرض يمر عبر مراحل[1].

كل هؤلاء الكتاب أجمعوا على أن المرض نقيض الصحة، وهو خروج الإنسان فيزيولوجيا عن حالته الطبيعية فينتقل بذلك الشخص المريض من حالة القوة إلى حالة الفتور والإرهاق.

ثانيا/ تعريف الوباء:

- **لغة:** يعرف الوباء في كل من المعجم الوسيط، ولسان العرب على أنه كل مرض فاش عام[2]. والجوهري يقول: " الوبا يمد ويقصر: مرض عام، وجمع المقصور أوباء وجمع الممدود أوبئة، وقد وُبِئَتْ الأرض توبأ وبا فهي موبوءة، إذا كثر مرضها، وكذلك وُبِئَتْ توبأ وباءة[3]، والوباء في كتاب الرائد لجبران مسعود هو كل مرض عام كالجدري والكوليرا وغيرهما، وجمعه أوبئة[4].

- **اصطلاحا:** الوباء مرض الكثير من الناس...ويكون مخالفا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها ويكون مرضهم نوعا واحدا بخلاف سائر الأوقات... وهو أشمل من الطاعون حيث أن كل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون، وهذا يدل على أن الطاعون نوع من الوباء[5].

---

[1]- جعفر يايوش وغازي الشمري: **الطبيب ابن زهر الأندلسي رائد التحريب**، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 1439هـ / 2017م، ص:249.

[2]- المعجم الوسيط: مصدر سابق، ص:1008، ابن منظور: مصدر سابق: ص:227.

[3]- الجوهري: مصدر سابق، ص:1224.

[4]- جبران مسعود: **الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته رفقا لحروفها الأولى**، دار العلم للملايين، ط7، بيروت – لبنان، مارس1992، ص:854.

[5]- محمود الحاج قاسم محمد: **البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي**، دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، العراق، 1441هـ / 2020م، ص:23.

ويطلق مصطلح الوباء على الطاعون، والأمراض العامة المدمرة والفتاكة بصحة الإنسان، أو هو الرجز والعذاب الذي يترل على قوم انتقاما أو قضاء وقدر[1]، ويضيف الأنطاكي "الوباء هو تغير الهواء إلى الفساد"[2]، أما الطب الحديث في ميدان علم الأوبئة فيعرف الوباء على أنه مرض عام مشترك بين الإنسان والحيوان تسببه بكتيريا وفيروسات تختلف حسب نوع المرض الوبائي وهذه البكتيريا سريعة الانتشار من شخص مصاب لشخص سليم، ويتم انتقال العدوى عن طريق العديد من الوسائط أهمها الماء والهواء، وكذا بعض الحيوانات القارضة كالجرذان والكلاب البرية والسناجب والأرانب[3].

- جدلية الفرق بين الوباء والطاعون:

حدث جدل واسع في أوساط الكتاب والمختصين في مجال الطب حول مفهوم كل من الوباء والطاعون فخرج بعضهم إلى أن مصطلح الطاعون يطلق على أي مرض واسع الانتشار مسببا الموت الجماعي، وهو مرض وبائي[4]، وهناك تداخل كبير بين الوباء والطاعون، فهناك من يعتقد بأن الطاعون هو نفسه الوباء، وهناك من يفصل بينهما، والحقيقة أن الوباء أعم وأشمل من الطاعون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون، أي أن الوباء يشمل العديد من الأمراض الفتاكة ومن بينها الطاعون[5].

---

[1]- عبد الله سنده: **الطب المجرب والتداوي بالأعشاب من الأمراض الشائعة**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت -لبنان، 1428هـ / 2007م، ص:405.

[2]- داوود عمر الأنطاكي: **بغية المحتاج في المجرب من العلاج**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت -لبنان، 1415هـ / 1995م، ص:333.

[3]- سمية مزدور: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ / 1192-1520)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إش: محمد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، (1429-1430هـ / 2008-2009م)، ص-ص:20، 21.

[4]- العسقلاني ابن حجر: **بذل الماعون في ظل الطاعون**، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، د.ط، الرياض، ص:22.

[5]- فلاح سفيان وحمدادو بن عمر: "الأوبئة في الجزائر العثمانية قراءة أنثروبولوجية دينية في محتوى المصادر التاريخية"، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، مج18، ع1، 15 جانفي 2022، ص-ص:782،783.

وعند الفصل بين الوباء والطاعون نسقط الأمر على الواقع، فإذا نظرنا إلى وباء كورونا الذي عاشه العالم قبل أربع سنوات، والذي انتشر في كل ربوع العالم، ووصل إلى المدينة المنورة التي كانت خالية على عروشها في هذه الفترة خوفا من انتقال الوباء، فلو كان الوباء هو الطاعون لما دخل إلى المدينة والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال"[1].

[1]- إيمان بار وحليمة بار: **داء الطاعون في الغرب الجزائري (1790-1853م) -دراسة اجتماعية واقتصادية -**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، إش: ميسوم بلقاسم، جامعة بسكرة، 2022-2023م، ص:12.

المبحث الثاني: الظروف المؤثرة على الأوضاع الصحية بالأرياف الجزائرية وطرق وصول الأوبئة إليها.

تعددت أسباب ظهور وانتقال وتفشي الأوبئة والأمراض في الريف الجزائري خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، هذه الفترة التي عرفت انتشارا كبيرا للأوبئة والأمراض وقد ساهمت العديد من الظروف ومهدت لظهورها منها الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها والمتمثلة في المناخ والكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها، ومنها الاجتماعية التي يختص بها الإنسان كالغذاء والألبسة وحتى التعليم، فلكل منها تأثير على الجانب الصحي سواء في تحسنه أو تدهوره، وحسب الفترة المدروسة فهذه العوامل كانت سببا في تدهور الأوضاع المعيشية بشكل عام، والصحية على وجه الخصوص، فما الظروف التي مهدت لظهور الأوبئة والأمراض في الجزائر؟

أولا/ الظروف الطبيعية:

لمعرفة الوضع الصحي بالجزائر عامة والأرياف بشكل خاص لابد من الوقوف على الظروف الطبيعية التي تتحكم وتؤثر على الوضع الصحي السائد آنذاك. وقد تعددت هذه الظروف منها ما أثر بشكل مباشر وآخر غير مباشر.

1-الموقع: إن الموقع بنوعيه الجغرافي والفلكي لأي مكان ما، يمكن أن يكون نافعا ومفيدا لذلك المكان، أو يكون ضارا له، فبقدر ما يكون مسهلا للتواصل الثقافي والاقتصادي فإنه يكون عائقا لذات الشي، بل وحتى يتسبب في متاعب وأزمات مختلفة كتردي الأوضاع الصحية مثلا[1].

تقع الجزائر شمال القارة الإفريقية، يحدها المغرب الأقصى من الغرب، ومن الشرق الأراضي التونسية، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، والجنوب الصحراء الكبرى[2]، وتنقسم إلى قسمين متميزين، الأول الشمالي حيث البحر والأنهار والجبال والتلال الذي يسميه السكان بأرض

---

[1]- علي لعبيدي: **الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: أرزقي شويتام، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2-بوزريعة، 2018-2019، ص:78.

[2]- وليام شالر: مصدر سابق، ص:27.

الثقافة والوفرة، والثاني حيث الصحراء الواسعة برمالها وبواديها ونخيلها التي يطلق عليها أرض المراعي[1].

تمتاز الجزائر بموقع جغرافي استراتيجي وتعتبر همزة وصل بين القارات الثلاث (آسيا، افريقيا، أوروبا) وهو ما جعلها محور تقاطع عدة حضارات قدمت إليها أثرت فيها وتأثرت بها كونها ممر عبور تجاري منذ القدم لكن هذا كان نقمة عليها لأنه جعلها عرضة للأوبئة من مناطق الشرق وأوروبا ومن الصحراء، فإذا انتشر وباء معد في أي دولة انتقل للجزائر سواء عن طريق الموانئ أو الصحراء[2]. ففي حين أن المبادلات التجارية تعد نقطة قوة لأي اقتصاد دولي، إلا أنها قد تؤول بها إلى الهلاك، ذلك لما تنقله من أمراض وأوبئة.

2-المناخ: تنقسم الجزائر إلى قسمين متباينين من حيث التضاريس والتركيبة الجيولوجية والمناخ، هما الجزء الشمالي والجنوبي، فالشمالي يغلب عليه الطابع الجبلي، مناخه متوسطي ويمتاز بغطاء نباتي كثيف تنتشر فيه أهم المدن والقرى، أما الجزء الجنوبي يمتاز بتضاريسه الهادئة ومناخه الجاف والغطاء النباتي المحدود[3]، فالبيئة الجغرافية تختلف من تضاريس ومناخ من منطقة لأخرى، وهو ما ساهم في اختلاف وتباين النمط المعيشي بين المدينة والريف، فللمناخ دور كبير وفعال في اختلاف وتنوع الأنشطة الاقتصادية، والاستقرار المجتمعي لدى السكان سواء في المدينة أو الريف[4]، كما تربط سكان الأرياف علاقة مباشرة مع البيئة كونها هي المتحكمة في تحديد نمط معيشتهم وتفكيرهم، وهو ما يجعلهم خاضعين لها عكس الحضر الذين هم في عزلة عن الطبيعة[5].

---

[1]- إبراهيم محمد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، ثالة – الأبيار، د.ط، الجزائر، 2007، ص:27.

[2]- عبد القادر قندوز: **الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي (1830-1914)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش:بوشنافي محمد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017، ص:14.

[3]- محمد الهادي العروق: **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى، ط.ج.م.م، ص:13.

[4]- سكينة عميور: مرجع سابق، ص:29.

[5]- نبيلة خبرارة: **تطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الريفي، إش: حسين لوشن، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (1431-1432هـ / 2010-2011م)، ص:41.

وللمناخ تأثير كبير على طبيعة الإنسان[1]، وعلى انتشار الأوبئة والأزمات الصحية، إذ أنه يعتبر السبب في تطور وتكاثر بعض البكتيريا الوبائية كما يساعدها على النمو والانتقال من شخص لآخر، ونجد أن الحرارة تعتبر المخلص الوحيد من هذه البكتيريا والطفيليات وتضع حدا لها، والبرد يضاعف من نشاطها[2]، وقد أشار وليام شالر في حديثه عن مناخ الجزائر بقوله: " تتمتع بجو صحي ومناخ معتدل مريح ليس بشديد الحرارة في الصيف ولا بقارس البرد في الشتاء على أنه تستثنى من هذه القاعدة الرياح الجنوبية التي تهب بين الحين والحين، وتدوم أحيانا، أربعة أو خمسة أيام في منتصف الصيف، وحينئذ، ترتفع درجة الحرارة لتبلغ في بعض الأوقات 108[3] درجة فهرنهايت"[4].

3-الكوارث الطبيعية: لقد كان للكوارث بشتى أنواعها أثر سلبي على الحالة الصحية لسكان الجزائر خاصة الأرياف الذين عانوا من التعاسة والبؤس، وتكرر هذه الكوارث أدى إلى تراجع عدد السكان وتضرر الاقتصاد خاصة القطاع الزراعي منه الذي يتحكم في استقرار سكان الأرياف أو هجرتهم، وقد تعددت هذه الكوارث ومنها: الجراد، الجفاف، الزلازل، الفيضانات، المجاعة.

أ-الجراد: عرفت الجزائر أسراب الجراد في فترات متعددة، ويعتبر القرن الثامن عشر أكثر الفترات التي شهدت فيها الجزائر حملات الجراد، وهناك حملتان بارزتان أولهما سنة 1722م التي حجبت الشمس مدة 48 ساعة، وقضت على الخُضر و لم تسلم منها حتى النباتات الصغيرة وأوراق الشجر، أما الثانية كانت سنة 1794م وأكل الجراد الأخضر واليابس وأتلف الإنتاج الفلاحي[5].

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص:63.

[2]- خير الدين سعيدي: **المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص تاريخ حيث ومعاصر، إش: شايب قدادرة، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2018-2019، ص:70.

[3]- ما يعادل 42 درجة مئوية.

[4]- وليام شالر: مصدر سابق، ص-ص:28، 29.

[5]- بشيرة عوينات وهادية عبابه: **الأوضاع الاجتماعية والثقافية للإيالة الجزائرية أواخر العهد العثماني(1711-1830)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، إش: عمار غرايسة، جامعة حمه لخضر، الوادي، 1437-1438هـ/ 2016-2017م، ص-ص:50، 51.

وبتلف المحاصيل الزراعية ينقص الغذاء وبنقص الغذاء ترتفع الأسعار وبذلك تحدث المجاعة وتظهر الأمراض[1]، وعن الجراد يقول الزهار في مذكراته: "جاء الجراد طائرا ثم غرس وأقام أياما في الأرض ثم خرج وأكل الزرع والشجر والثمار وغلت الأسعار"[2].

ب-الجفاف: مثل المطر حدثا هاما في حياة الناس حتى أرخو به فقالوا مثلا سنة النوة، وانعدامها يؤثر في قلة المحاصيل الزراعية، وعادة ما يؤدي الجفاف إلى انتقال القبائل من مجال لآخر وتشد الرحال بحثا عن الأراضي الخصبة، ولا يمكن اعتبار الجفاف جائحة إلا إذا أصاب ثلث الإنتاج فأكثر[3]، وبالتأكيد أن أكثر فئة متضررة من الجفاف هي فئة الفلاحين في الأرياف الذين فقدوا مصدر عيشهم مما جعلهم يترحون إلى المدن مشكلين أحياء غير نظيفة وهي بدورها أدت إلى تدهور الوضع الصحي وظهور عدة أوبئة[4].

وبالنسبة للسنوات التي عرفت فيها البلاد الجفاف كانت في الفترات الممتدة من 1734م إلى 1737م، ومن عام 1778م إلى 1779م، وكذلك سنة 1800م[5].

ج-الزلازل: ضربت الجزائر سلسة من الهزات الأرضية القوية أثناء العهد العثماني، والتي خربت العديد من المدن وأدت لموت العديد من الأرواح، ومن هذه الزلازل نذكر زلزال مدينتي الجزائر والمدية سنة 1632م الذي أهلك معظم سكان مدينة الجزائر وضواحيها، ويعتبر زلزال 1716م من أخطر الزلازل التي خربت من جرائه شرشال وبجاية واضطر السكان للخروج إلى الأرياف بعد أن

---

[1]- محمد صديقي: **الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين 5-7هـ / 11-13م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط والحديث، إش: عاشوري قمعون، جامعة حمه لخضر، الوادي، 1441-1442هـ / 2020-2021م، ص:68.

[2]- أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، (1168-1224هـ/ 1754-1830)**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974، ص:117.

[3]- محمد حسن: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، مرجع سابق، ص-ص:604، 605.

[4]- أحلام بن صالح وراضية تاورطة: **التدابير الوقائية من الأوبئة والأمراض في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية العهد الكولونيالي (1800-1900م)**، مذكرة ماستر في تاريخ الوطن العربي المعاصر، إش: رضا حوحو، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020-2021م، ص:13.

[5]- محمد بن جبور: **الوضع الصحي بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، قسم التاريخ، جامعة معسكر، ص:05.

تهدمت منازلهم، وتكرر الزلزال عام 1723-1724م، وحدث زلزال قوي أيضا سنة 1755م عرف بزلزال لشبونة الذي كانت له انعكاسات على الحالة الصحية ونتائج خطيرة وسلبية على الوضع الديمغرافي[1].

د-الفيضانات: ألمت بالجزائر العديد من الفيضانات والعواصف البحرية القوية التي قضت على مساحات كبيرة كالتي حصلت في سهل متيجة وأدت إلى تدمير البنايات والمنشآت، ومن الفيضانات التي عرفتها الجزائر نذكر فيضانات هذه السنوات 1727م-1731م-1733م-1734م-1736م-1740م-1753م-1755م-1757م-1791م[2].

هـ-**المجاعة:** شهدت الجزائر خلال العهد العثماني موجات متعاقبة من المجاعات التي أثرت سلبا على المجتمع سواء في المدينة أو الأرياف، كما أثرت على الحياة الاقتصادية هي الأخرى مما ساهم في تدهور وتراجع البلاد، فقد حدثت مجاعات كبيرة في البلاد، ووصل الأمر بالناس من خلالها إلى أكل لحوم البشر والخنازير وشرب الدم[3]. وقد أثرت المجاعات على صحة الإنسان بشكل كبير. (ينظر الملحق 1).

ومن أشهر المجاعات التي عرفتها البلاد نذكر مجاعة 1579م و1580م التي راح ضحيتها 5656 شخص، بالإضافة إلى مجاعة 1752م التي استمرت لمدة أربع سنوات وأسفرت عن موت

---

[1]- لطيفة ميلودي: **المجتمع الجزائري في العهد العثماني 1518-1830(دراسة عامة مدينة الجزائر نموذجا)**، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إش: شباب عبد الكريم، جامعة طاهر مولاي، سعيدة، 1433-1434هـ/ 2012-2013م، ص:13.

[2]- خديجة بن مزوز: **الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية وأثرها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية (1216-1246هـ/ 1800-1830م)**، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: بن قومار جلول، جامعة غرداية، 1436-1437هـ/ 2015-2016م، ص-ص:41، 42.

[3]- محمد الصديق بولغيث: "المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي ببايلك الغرب الجزائري في أواخر القرن الثامن عشر"، **مجلة عصور الجديدة**، مج11، ع1، مارس 1442هـ/ 2021م، ص:370.

1700 شخص في مدينة الجزائر وحدها[1]، ومن المجاعات أيضا نذكر مجاعة 1778م و1779م التي تمركزت بالجزائر العاصمة وقسنطينة، والسبب فيها الجراد والجفاف[2].

ويشير العنتري إلى العوامل الأساسية التي نجمت عنها هذه المجاعات، وذلك من خلال تكاثر الفتن، واشتداد الأهوال التي حالت بين الفلاحين وفلاحة الأرض، ونتج عن هذه الأزمة قلة الحبوب في الأسواق وكذا ارتفاع الأسعار بشكل كبير[3]، وبحدوث هذه المجاعات وغلاء الأسعار، أصبح الناس يتغنون بالقمح وكتبوا أشعارا فيه:

القمح يا باهي اللـــون من شبعتك لا ريـــادة

أنت قدت كل مسكين بك الصلاة والعبادة [4]

كما أن تدني الأوضاع المعيشية ساهم في تراجع وتردي الأحوال الصحية، إذ يرى بعض العلماء أن هناك علاقة بين ظهور المجاعات وانتشار الأوبئة، حيث أن ظهور الطاعون ليس نتيجة حادث عارض وإنما مرده سنوات صعبة أي المجاعة التي تجعل السكان في وضعية أكثر حساسية وقابلية لداء الطاعون[5].

وبذلك يتضح لنا الارتباط الوثيق بين الموقع الذي يكمن تأثيره في كونه نقطة وصل بين مختلف الحضارات وما ينجر عنها من أمراض، بالإضافة إلى المناخ والذي تتبعه الكوارث الطبيعية التي تخلف ورائها خسائر مادية وبشرية، الأمر الذي أدى إلى زعزعة المجتمع الجزائري واستقراره الاجتماعي

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: مرجع سابق، ص:90.

[2]- حفصة بوباشة والزهرة عقبى: **الكوارث الطبيعية وتأثيرها على سكان الجزائر خلال العهد العثماني في القرنين 18و19**، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ الدولة العثمانية، إش: كريم مقنوش، جامعة يحي فارس، المدية، 1439-1440هـ/ 2018-2019م، ص:42.

[3]- صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، مصدر سابق، ص:13.

[4]- سمية العيد: **الكوارث والأوبئة ودورها في إضعاف الحكم العثماني 1798-1830**، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، إش: شهرزاد شلبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018-2019، ص:37.

[5]- نهلة سالمي: **الواقع الصحي وممارسة الطب في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ حديث، إش: صالح لميش، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022م، ص:27.

والاقتصادي، ويظهر ذلك جليا في تراجع عدد السكان، والركود الاقتصادي الذي شهدته البلاد في هذه الحقبة.

ثانيا/ الظروف الاجتماعية:

عرفت التركيبة السكانية للريف الجزائري خلال العهد العثماني تنوعا، وهو ما نتج عنه بالضرورة تنوع واختلاف في العادات والتقاليد ومختلف جوانب الحياة، ولعل أهم ما يمكن الوقوف عنده الغذاء واللباس والتعليم، هذه الظروف التي يمكن أن تؤثر بشكل كبير على معظم شؤون الحياة وتكون سببا في تطور أو تردي الأوضاع الاجتماعية وعلى رأسها الوضع الصحي الذي هو موضوع دراستنا.

1-الغذاء: الغذاء مؤشر مهم لتحديد المستوى المعيشي لأي مجتمع، فاختلاف الأكلات وتنوعها من فئة لأخرى يبين لنا الفروق الاجتماعية بين هذه الفئات، ومن خلال الغذاء تتضح معالم الفقر والغنى لأي منطقة جغرافية، ولأي فئة من المجتمع، فغذاء سكان الحضر ليس كغذاء سكان القرى والأرياف، وغذاء السلاطين ليس كغذاء عامة الناس البسطاء[1].

والنظام الغذائي في الأرياف الجزائرية ارتبط ارتباطا وثيقا بالوضعية الاقتصادية، فقد كان سكان الأرياف يتمتعون بالقناعة والبساطة في غذائهم الذي لم يكن متنوعًا وكان يقتصر على الحليب وبعض الفواكه كالتين والعنب والتمر، أما بالنسبة للحم فلا يستهلك إلا مرة واحدة في الأسبوع من طرف العائلات الميسورة الحال، والفقراء لا يتناولونه إلا في المناسبات[2].

ويعتبر القمح مادة أساسية لصنع بعض أنواع الطعام كالخبز الذي هو غذاء سكان الأرياف الرئيسي، و لم يكن القمح متوفراً بكثرة في كافة المناطق الريفية بل كانت هناك بعض المناطق شحيحة

[1]- مزدور سمية: مرجع سابق، ص: 64.

[2]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص:251.

لهذه المادة كالمناطق الجبلية والصحراء[1]، وكذا جبال بجاية التي قال عنها كاربخال "...لا تأتي أرض هذه الجهات بقمح كثير"[2].

كما يعتبر الغذاء عاملا من العوامل التي أدت إلى إصابة السكان بالأوبئة والأمراض في حالة ما كان ملوثا، وحتى يكون المأكل والمشرب صحيا ونظيفًا يجب عدم تغير لونه ولا رائحته ولا طعمه، وإذا تغير يصبح مضرا بالصحة[3]، فالأمراض والأوبئة تأتي من فساد الأغذية التي كان الناس يتناولونها في زمن المجاعات وغلاء الأسعار، وبهذا يضطر الإنسان إلى تناول الغذاء غير المألوف[4].

2-اللباس: يتميز لباس سكان الأرياف بالبساطة، (ينظر الملحق 2) حيث يتلائم مع بساطة عيشهم كما أن للمستوى المعيشي دورا في تحديد نوعية الألبسة وكذا البيئة الطبيعية، وتختلف الألبسة من منطقة لأخرى، حيث نجد أن سكان الجبال يرتدون ملابس صوفية تقيهم من البرد بينما سكان الواحات والمناطق ذات الحرارة المرتفعة فيرتدون ملابس خفيفة[5].

وبالحديث عن اللباس نجد أن سكان الأرياف يتميزون بنوع معين من اللباس حسب ما تقتضيه الظروف المناخية لكل منطقة فنجد:

---

[1]- عبد المالك بكاي: **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن7-10هـ/13-16م**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إش: مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م، ص-ص:116، 117.

[2]- مارمول كاربخال: **افريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، د.ط، 1408-1409هـ/1988-1989م، الرباط، ج2، ص:377.

[3]- حفيظة عتوان وربيعة إرسان: **الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830) أسبابها وانعكاساتها**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إش: أمين محرز، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018-2019، ص:42.

[4]- محمد الأمين البزاز: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18، المملكة المغربية، 1992، ص: 290.

[5]- سكينة عميور: مرجع سابق، ص: 266.

أ-لباس سكان المناطق الجبلية: يذكر شلوصر لباس القبائل قائلا: "يرتدي قندورة صوفية وبرنس أبيض متسخ، وحذاؤه خف من الجلد الخام، ويلف ساقيه حتى الركبة بخرق، ويربط بها خفه، ويضع فوق رأسه قلنسوة حمراء متسخة وتحتها قلنسوة بيضاء"[1].

وما يؤكد قلة نظافة القبائل ما ذكره "هاينريش" عن مظهرهم الزيتي ذلك أنهم لا يمسدون بشرتهم بالزيت فقط وإنما يشربون ثيابهم به أيضا[2].

ب-لباس سكان السهول: لباس العربي الريفي الساكن في الدواوير المنتشرة عبر المساحات السهلية الساحلية والداخلية الحايك الذي يغطي الجسد كله، وهو من الصوف البيضاء، ويتميز شيخ القبيلة بلباسه عن العامة حيث يرتدي برنوس من صوف بيضاء أو لون آخر، وله قلمونة[3].

ج-لباس سكان الصحراء: يرتدي سكان الصحراء أقمصة وسراويل قصيرة ومعاطف، ويضعون فوقها البرنوس ذي اللون الأحمر أو الأزرق، أما المرأة الريفية الصحراوية فإنها ترتدي أقمصة ذات نوعية جيدة وسراويل قصيرة ومبتورة مثل الرجال وفوق ذلك عباءة إلى منتصف الساق[4].

وبالحديث عن المرأة نقف على نساء عين ماضي اللواتي لم يولين أي اهتمام لعامل النظافة، وهو ما أكده ناصر الدرعي بقوله: "أن نسائهم لا يغتسلن لا من جنابة ولا من حيض ولا نفاس"[5]، وفيما يخص قلة الاهتمام بالنظافة فلا يمكن تعميمه على كافة القرى والأرياف الجزائرية بل هناك بعض القرى التي كانت تهتم بالنظافة، فعلى سبيل المثال ما قاله الرحالة عبد الرحمان بن دريس التنلاني الجزائري عن إحدى قبائل مدينة القرارة وهم عرب النوايل وما عرف عنهم من نظافة "بل هم الغاية

---

[1]- شلوصر: مرجع سابق، ص: 95.

[2]- هاينريش فون مالتسان: مرجع سابق، ص: 80.

[3]- بن عتو: مرجع سابق، ص: 581.

[4]- بن عتو: مرجع سابق، ص: 584.

[5]- ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص: 131.

في ذلك، أهل وضوء وصلاة"[1]، فسكان الأرياف حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم في اللباس و لم يتأثروا بثقافة العثمانيين في لباسهم[2].

في كثير من الأحيان ما تنتقل العدوى عن طريق استخدام الألبسة أو الأغطية أو الأفرشة أو الزرابي، والسبب في هذه العدوى تلك البراغيث المعدية (ينظر الملحق3) التي تنتشر عن طريق الألبسة، فقد أثرت البراغيث تأثيراً خطيراً في نقل العدوى حيث أنها تنتقل عن طريق استعمال لباس موتى الطاعون دون تطهيره لهذا تبقى وتنتشر من شخص لآخر لأن هذه البراغيث تبقى حية في الملابس مدة أسابيع أو شهور، وبهذا يكون اللباس عاملا فعال في انتقال العدوى وانتشارها لأن السكان في هذه الفترة في حاجة لأبسط متطلبات الحياة لهذا يلجؤون لاستعمال لباس الهلكى نظرا لعجزهم الشديد عن شراء ألبسة جديدة في معظم الأحيان[3].

الفقر المدقع الذي عاشه أهالي الريف جعلهم يحتاجون لأبسط أمور الحياة، منها اللباس حيث أضحوا يرتدون لباس الموتى الذين هلكوا بسبب الأوبئة ما جعلهم عرضة لها، وذلك جراء انتقال العدوى عند طريقها، كما كان لباس بعض المناطق الريفية غير نظيف مما يساعد على تكاثر البكتيريا التي تسبب الأمراض.

3-التعليم: عرفت الجزائر خلال القرنين 17و18م تنوعا في المراكز التعليمية سواء كان ذلك في المدن أو الأرياف بحيث كانت هناك الزوايا والكتاتيب والمساجد، ومما يثير التساؤل هنا هل انتشار التعليم بهذا الشكل يعود إلى تشجيع السلطة؟ وهل كان للعثمانيين في الجزائر سياسة تعليمية خاصة؟

أ-المساجد: تعتبر المهد الأول للتعليم، فإلى جانب وظيفتها الدينية كانت تقوم بالتعليم فبالرغم من ظهور المدارس إلا أنها لم تستطع أن تحد من وظيفة المساجد بل عملا معا على نشر التعليم والتربية

---

[1]- عبد الرحمان بن دريس التنلاني: **رحلة عبد الرحمان بن دريس التنلاني التواتي الجزائري إلى الجزائر العاصمة**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر، 2011، ص: 242.

[2]- وليم سبنسر: مرجع سابق، ص: 105.

[3]- فلة موساوي القشاعي: **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2003-2004م، ص: 166.

في العالم الإسلامي، وكانت المساجد بمثابة الرابطة بين الأهالي في الريف والمدينة بحيث ازداد الاهتمام بها فلا تكاد توجد قرية أو حي من دون مسجد[1]، وكان للمساجد أحباس تصرف عليها إما تكون رسمية أو من الأشخاص، وتكون عينية أو عبارة عن أراضي تصرف على سلطة المساجد وترميمها وكذا مرتبات عمال المسجد[2].

ب-الزوايا: عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل تختلف في أشكالها وأحجامها تتكون من غرف لتحفيظ القرآن الكريم ومختلف العلوم الإسلامية بالإضافة إلى بيوت للصلاة وأخرى للطلبة المقيمين وطهي الطعام، ومما تجدر الإشارة إليه أن البعض من شيوخ الزوايا أميون ولكن لديهم تأثير كبير على أتباعهم[3].

ج-الكتاتيب: تتمثل وظيفتها في تحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وقد دعت الحاجة إليها من أجل تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم من أجل الحفاظ على طهارتها ونقاوتها ووقارها.

ظهرت الكتاتيب منذ صدر الإسلام وانتشرت في جميع البلدان الإسلامية منها الجزائر، تكون في بعض الأحيان بيوتا منفردة وأحيانا مجمعات من البيوت من تأسيس حفظة القرآن الكريم، متواجدة في كل الحواضر والقرى بشكل مكثف، يطلق عليها اسم "المسيد" في الجزائر والذين يتولون تحفيظ القرآن الكريم يطلق عليهم "الطلبة" -بضم الطاء المشددة وسكون اللام[4].

د-المعمرات: مراكز تعليمية شبيهة بالكتاتيب القرآنية وبالزوايا في بعض الأحيان، انتشرت المعمرات بأرياف الجزائر وقراها الجبلية بالخصوص منطقة القبائل، يحضر إليها الطلبة من كل الجهات، اهتمت بتعليم القرآن وبعض العلوم الدينية واللغوية[5].

---

[1]- رشيدة شدري معمر: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م"، **مجلة معارف**، ع20، جوان 2016، ص: 93.

[2]- عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص: 311.

[3]- يحي بوعزيز: "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، **مجلة الثقافة**، ع63، مايو، يونيو1981م، ص-ص: 49، 50.

[4]- يحي بوعزيز:" المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، **مجلة اللغة العربية**، ع16، ص: 100.

[55]- يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص-ص: 56، 57.

هـــ-الرباطات: تتشابه مع الزوايا في كونها تخدم الدين والمجتمع فطلابها كانوا جنودا في نفس الوقت، لديها ميزة خاصة أنها لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية فجل المشرفين عليها من رجال الدين[1].

كان التعليم منتشرا في الجزائر إلا أنه كان تعليما بسيطا أوليا وذلك راجع لعدم اهتمام السلطة بتشجيع التعليم وترقيته وإنما انصب اهتمامها بالجانب السياسي والعسكري، فلم يكن التعليم يعنيها سواء انتشر أو تقلص، وكان من الممكن أن يزدهر لو شجعه المشرفون على البلاد، اللهم إلا القليل من مساهمة بعض البايات كالباي محمد الكبير وصالح باي[2]، وقد أهمل تدريس الطب في الأقطار المغاربية بما فيها الجزائر، وهو ما نتج عنه قلة عدد الأطباء في الجزائر وانحطاط العلوم العقلية[3].

فبالرغم من أن أهل الريف كانوا يسعون للتعلم وفقا لإمكانياتهم، إلا أن السلطة لم توفر لهم المراكز التعليمية المناسبة لتلقي التعليمات والإرشادات التي تحثهم على الوقاية وطرق التصدي لمختلف الأمراض والأوبئة ما جعلهم المتضرر الأكبر من هذه الجوائح.

ثالثا/ طرق انتشار الأمراض والأوبئة:

للجزائر بيئة صحية وهذا بشهادة تقارير الرحالة الأوروبيين والأطباء الذين زاروا الجزائر وتعرفوا على أحوالها، وإنما انتقلت إليها الأوبئة والأمراض المعدية بحكم علاقتها بأقطار المشرق العربي وبلاد السودان وبعض المناطق الأوروبية[4]، ووصلت الأوبئة إلى الجزائر عن طريق الحجاج والجنود المجندين والتجار القادمين من المشرق، وكان الوباء يتسرب للجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر لذا نجد أول من كان يصاب به عمال الموانئ وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد، ومما تجدر الإشارة إليه أن الوباء شمل معظم الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط و لم يكن مقصورا على

---

[1]- زهية دباب ووردة برويس: "السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيوتاريخية"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج21، ع1، 2021، ص: 180.

[2]- صبيحة بخوش: **وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني**، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، ص: 136.

[3]- فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، ص-ص: 68،69.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي...، مرجع سابق، ص:51.

الجزائر فقط، وذلك لكثرة التواصل بين هذه الدول، ويرجع مصدر هذا الوباء إلى المدن التركية فهو ينتقل من تركيا إلى بيروت والإسكندرية ثم إلى دول المغرب العربي باعتبار تركيا مركز استقطاب للأجناس المختلفة[1].

من أهم طرق انتشار الوباء في الجزائر ما يلي:

1-ركائب الحج: شكلت مواسم الحج عاملا هامًا في حركة المسافرين ووسائل النقل خصوصا وأن الجزائر وضعت وكلاء للحج في العديد من البلدان، وهو ما يسمح باحتكاك الحجاج الجزائريين بالحجاج الأخرين من مختلف الشعوب الإسلامية الذين كانت بلدانهم تنتشر فيها الأوبئة إما عن طريق تأدية المناسك أو في طريقهم الى الحج[2]، فقد أدى تجمع العديد من المسلمين إلى انتقال العدوى من المناطق الشرقية الموبوءة إلى الجزائر (ينظرالملحق4)، فالفئران التي تعيش على متن السفن هي التي تنقل وباء الطاعون لذلك يطلق عليه اسم الطاعون المينائي[3].

ففي سنة 1762م انتقل الوباء عن طريق الحجاج الذين وصلوا إلى ميناء الجزائر، والذين كانوا قادمين من الإسكندرية وكان على متنها مرضى مصابين بالطاعون[4]، وهذا ما أكدته لويسات فالنسي إذ ذكرت أن العدوى جاءت من الإسكندرية عندما حلت سفينة الحجيج بميناء عنابة وعلى متنها بعض المصابين بهذا الداء[5].

---

[1]- أرزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، دار الكتاب العربي، ط1، د.م.ن، 2011، ص-ص: 84، 85.

[2]- هجيرة غراف: "السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر الحجر الصحي أنموذجا"، **مجلة القرطاس للدراسات الفكرية الحضارية**، مج7، ع2، 2020/07/30، ص: 153.

[3]- حفيظة عتوان وربيعة أرسان: **الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830) أسبابها وانعكاساتها**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، إش: أمين محرز، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، 2018-2019م، ص: 38.

[4]- يوسفي صرهودة: "سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيالة الجزائر خلال القرن 18-19"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج6، ع1، 2022، ص: 650.

[5]- محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص: 53.

2-السفن التجارية: شهدت الجزائر خلال الفترة العثمانية نشاطًا ملاحيا هام وذلك من خلال العلاقات التجارية الهامة ونتج عن هذه العلاقات توقيع العديد من الاتفاقيات التجارية مع الدول الأوروبية وعليه فقد عرفت حركية تجارية كبيرة وهامة تقضي بنقل الأشخاص والتجار على غرار السلع والبضائع وهذا ما جعلها معرضة لانتقال الأمراض والأوبئة المعدية[1].

3-الأسواق: وذلك من خلال التقاء التجار المصابين بغيرهم، وعليه تنتشر الأمراض والأوبئة عن طريق تبادل السلع إضافة إلى احتكاكهم بأشخاص سليمين من المرض في السوق لاقتناء حاجياتهم، فينتقل معهم المرض وتتكاثر معهم العدوى وعادة عندما يهرب المصابون إلى مواطنهم للاحتماء بها، وهذا ما جعل الأوبئة في الجزائر يغلب عليها الطابع الريفي، بحيث تنتقل العدوى في الغالب من القرى إلى الحواضر ومن الحواضر إلى البوادي[2].

4-المراسلات: كانت تشكل هي الأخرى عاملا مساعدا على انتقال الأمراض والأوبئة، بحيث يذكر أن الرسائل الإدارية والسياسية والدبلوماسية غالبا ما تكون السبب في نقل العدوى وذلك بانتقال تلك الرسائل من منطقة إلى أخرى أثناء انتشار الأوبئة، بالإضافة إلى عامل آخر وهو الفرق العسكرية التي كانت تنقل العدوى أثناء الحملات العسكرية[3].

وبذلك يمكن القول بأن الجزائر لم تكن منطقة موبوءة بطبيعتها، بل نتيجة انفتاحها على العالم الخارجي مع التقاعس في أخذ الإجراءات الاحترازية والوقائية أدى إلى تغلغل الأمراض والأوبئة خاصة في الأرياف وذلك راجع إلى التعداد السكاني.

---

[1]- هجيرة غراف: مرجع سابق، ص: 153.

[2]- فلة موساوي القشاعي: "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، **مجلة دراسات إنسانية1**، ص: 144.

[3]- يمينة مجاهد: **تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962**م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: فغرور دحو، جامعة وهران1-أحمد بن بلة، 2017-1018، ص: 18.

المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض المنتشرة بالأرياف الجزائرية خلال القرنين(17-18م).

تعرضت الجزائر طيلة الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر لجملة من الأوبئة والأمراض التي تركت بصمتها السيئة على الواقع الصحي حيث أدت إلى وفاة العديد من سكان المدن والأرياف على حد السواء، فمنها ما كان قاتلا كالطاعون، ومنها ما كان مرضا يوميا شائعا، و لم تقتصر هذه الأمراض على فئة عمرية معينة من المجتمع بل مست مختلف الفئات، وقد حاولنا التفصيل في هذه الأوبئة والأمراض على النحو الآتي:

أولا/ الأوبئة: من أهم الأوبئة التي ظهرت في الجزائر نذكر:

أ-الطاعون(la peste): داء الطاعون البلاء الأكثر تواترا والأكثر فتكا الذي عانت منه الجزائر بشكل مأساوي خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث عرفت البلاد 65 سنة وبيئة.[1]

(ينظر الملحق5).

يروى عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما سئل عن الطاعون قال: "الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف"، وهذا ما يدل على أنه جرثومة معدية سريعة الفتك بالإنسان[2]، ويقول العسقلاني عن الطاعون "أنه إذا هجم عم البلاد، وغم النفوس وأذاب الأكباد، وتقدم بعساكر المنايا، ودهم بكبائر الرزايا، وألقى الرعب في قلوب البرايا، وأبقى في صدورهم البلايا...إن دخل بيتا كان آخر أهله خروجا، وإن عدل إلى فناء أجج نار الفناء تأجيجا، فقصم عند ذلك الآمال وكثرت لديه الأعمال".[3]

---

[1]- أمين محرز: **الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.ت.ن، ص: 167.

[2]- عائشة غطاس: "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة الثقافة**، ع76، السنة الثالثة عشر، رمضان -شوال 1403هـ/ يوليو-أغسطس1983، ص: 124.

[3]- العسقلاني ابن حجر: مصدر سابق، ص: 22.

أما التعريف الحديث للطاعون فهو مرض معدي تسببه جرثومة اليرسين والسبب وراء تكون هذه الجرثومة التلوث وتسمم الجو بفعل الرائحة الكريهة للجراد المتعفن[1]، ويذكر مارشيكا عن الطاعون أنه يظهر بصفة دورية كل عشرة أو اثنتي عشرة أو خمس عشرة سنة، وعادة ما يأتي من الخارج[2]، وللطاعون أنواع منها:

- الطاعون العقدي أو ما يسمى بالطاعون الدبلي أو الدملي بمعنى الدماميل القاتلة، ويطلق عليه باللاتينية (Bubonic)، ويكون في شكل خرجات في المغابن واللحوم الرخوة من الجسم.

(ينظرالملحق6)

- الطاعون الانتمائي ويطلق عليه اسم (Septiceni) يعني إنتان دموي ويطلق عليه الطاعون الدموي، ومن أعراضه قروح تكون على شكل نفخات سوداء بالجسم وتميل إلى الاحمرار.

- الطاعون الرئوي (La peste pilnonaro)وهو من أشد الطواعين يصيب الرئة ولا يوجد له علاج في الغالب[3].

وقد ضربت الجزائر موجات متعددة من الطاعون خلال القرنين 17 و18م والتي نوجزها فيما يلي:

- من 1601 إلى 1614م: ففي عامي 1602م-1603م حصل طاعون في قسنطينة مخلفا العديد من الأموات، نتج عنه القحط والجفاف دام تسع سنوات، وحدثت جراءه مجاعة حادة خلفت ضحايا كثيرة[4].

---

[1]- علامة صليحة: "تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون-الجذري-التيفوس-الملاريا)"، **مجلة القرطاس**، ع2، جانفي2015، ص: 168.

[2] - JEAN MARCHIKA.La **Peste en Afrique septenteionaie, histoire de la peste en Algerie l363a 1830**, Alger carbonel, 1927, p : 223.

[3]- علي مخطاري: "الطاعون في الجزائر بين 1700-1830"، **مجلة آفاق فكرية**، مج9، ع2 خاص، 2021، ص-ص: 116، 117.

[4]- محمد صالح بن العنتري: **فريدة منسية في حال وصول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**، مر وتح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر، 2009، ص: 33.

وفي سنة 1605م بلغ الطاعون أوجه حيث استمر لمدة سبعة أشهر وتسبب في وفاة ما يصل إلى سبعمائة حالة يوميا[1].

- 1614-1620م: عرفت هذه الفترة خموداً للطاعون لمدة ست سنوات ليواصل انتشاره من 1620-1630م، عرفت هذه الفترة بالحبوبة الكبيرة واستمر هذا الوباء مدة عشر سنوات متعاقبة بحيث عم الحواضر والأرياف الجزائرية، وتلته مجاعة بدأت آثارها المروعة عام 1629م.

- 1636-1649م: يتواتر الوباء لمدة عشر سنوات في الجزائر وقسنطينة وبسكرة[2]، هذه الأخيرة التي تكلم عنها العياشي في رحلته من خلال قوله: " وكان وباء مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل نحو من سبعين ألف نفس[3]، وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خاليا"[4].

- 1650-1654م: هنا خمود الطاعون خلال أربع سنوات.

- طاعون أطلق عليه اسم " الكونية " أو " الطاعون الكبير"، خمد الوباء لمدة سبع سنوات إلى غاية 1673م[5].

وقد انتشر بالجزائر الوباء المعروف بالزينا[6] حيث ظهر عدة مرات خلال القرن السابع عشر، الأولى سنة 1616موالثانية سنة 1622م، والثالثة سنة 1632م، والرابعة سنة 1639م، والخامسة

---

[1] - Marchika : OP, CIT, P : 37.

[2]- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص-ص: 156، 157.

[3]- وهذا مما لا شك رقم مبالغ فيه وهو ما أكده الناصري في قوله: "البلاد اعتراها الخلاء قبل زمن أبي سالم العياشي، كما في رحلته، و لم تعهد بعد ذلك بها ولا عشر معشار هذه العمارة، اللهم إلا إن كان المراد بالعدد المذكور من مات بسائر بلاد الزاب سهلا ووعرا فممكن. ينظر: محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، در وتح: المهدي الغالي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، د.م.ن، 1434هـ/2013م، ج1، ص: 223.

[4]- عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح وتق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ج2، ص: 540.

[5]- القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص: 157.

[6]- **الزينا:** نوع من الطاعون يكون على شكل دمل ينتشر على كامل الجسم، من أعراضه تقيح البشرة، تسبب في هلاك العديد من الأشخاص المصابين به. للمزيد ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد: **قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ / 1695-1705م)**، تح وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2012، ص: 140.

سنة 1663م، والسادسة سنة 1669م في عهد الداي الحاج علي، والسابعة سنة 1671م في عهد محمد التركي، والثامنة على عهد الداي شعبان سنة 1690م[1].

نلاحظ بأن الطاعون خلال القرن 17م كان يضرب البلاد بصفة متكررة وبسنوات متقاربة وكان يحصد أعدادًا هائلة من السكان في المدن والأرياف وغالبا ما كانت تصاحبه المجاعة.

أما بالنسبة للمرحلة الأولى من القرن 18م (1700-1715م) فقد شهدت فيها الجزائر نوعا من العافية وخمود الطاعون على عكس دول الجوار كتونس ومصر وطرابلس الغرب[2].

ومنذ سنة 1717م تسرب الوباء من سفينة إنجليزية آتية من الإسكندرية محملة بالأقمشة، وقد توفي قائد السفينة وركابها نتيجة هذا الوباء[3].

- وباء 1730م: انتقل للجزائر عن طريق ثلاث سفن قادمة من سوسة بتونس[4].

- وباء 1734م: أصاب الغرب الجزائري، وتوفي به الباي يوسف المسراتي الذي مات بتلمسان ودفن بها[5].

أما بالنسبة لطاعون 1737م فقد ضرب الجزائر حواضرا وأريافا وسميت هذه السنة "بعام الطاعون"[6].

- وباء 1740م: ضرب الوباء خلال فصلي الربيع والخريف جراء سفينة فرنسية قادمة من الإسكندرية، ولأن الداي إبراهيم لم يتخذ الإجراءات الوقائية والاحترازية انتشر الوباء عبر كافة تراب الإيالة وتسبب في خسائر بشرية كبيرة وتوفي إثره عدد هائل من الأسرى، وقد زادت حدة

---

[1]- عبد الله بن محمد الشويهد: نفسه: ص: 140.

[2]- خير الدين سعيدي: مرجع سابق، ص: 147.

[3]- عبد القادر قندوز: مرجع سابق، ص: 270.

[4]- علي مخطاري: مرجع سابق، ص: 118.

[5]- بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود**، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.م.ن، د.ت.ن، ج1، ص: 278.

[6]- علي مخطاري: مرجع سابق، ص: 118.

هذا الوباء بارتفاع درجات الحرارة[1]، ويذكر دوغرامون أن عدد ضحايا هذا الوباء ما بين 200 إلى 400 شخص يوميا[2].

- وباء 1778م: قبل تولي الباي محمد الكبير الحكم وقع قحط شديد دام حتى منتصف سنة 1191هـ/1777م، وقد أشار له الشاعر الشعبي سيدي الأكحل بن خلوف في قوله:

ستين والثلاثين تقحط العباد ونصف عام من بعد تذهب الكثرا

ولما تولى الحكم ارتفع القحط وامتد سنة 1778، وهلكت أمم كثيرة في أيامه بالطاعون الذي فتك بالعباد فتكا ذريعا وخرج الباي فارا منه نحو البادية[3].

- وباء 1785م: يذكر كاثكارت أن عدد الوفيات خلال هذا العام بلغ 16 ألف وفاة وكلهم أسرى مسيحيين[4].

- وباء 1786م: وصل الطاعون إلى الجزائر من بلاد الترك عن طريق رجل يدعي "بن سماية"، كان الطاعون شديد الفتك بالسكان وقيل أن عدد ضحاياه وصل إلى 500 ضحية يوميا[5].

- وباء 1787م: مس سكان معسكر وتلمسان على الخصوص، هذا الوباء أخلى البلاد وأفنى أهلها ليصل عدد ضحاياه عام 1788م إلى 15793 ضحية منهم 13482 مسلم و1771 يهودي و540 مسيحي، وكان عدد الضحايا المسلمين يصل إلى 200 أو 240 ضحية[6]. وهذا ما يدفعنا للتساؤل:

---

[1]- علي مخطاري: نفسه: ص: 118.

[2]- H.D.DEGRAMMONT.**Histoire DAlger.sous la Domination Turque (1515-1830)**,PARIS, 1887, P : 297.

[3]- مسلم بن عبد القادر: **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.م.ن، 1397هـ-1974م، ص-ص: 23، 24.

[4]- كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تع وتق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.م.ن، 1982، ص: 111.

[5]- أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص: 51.

[6]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص: 94.

لماذا كانت نسبة ضحايا المسلمين أكثر بالمقارنة مع اليهود والمسيحيين؟ ترى هل كانت لهم طرق احترازية خاصة؟

- وباء 1789م: انتشر هذا الوباء بشكل مرعب وكانت له انعكاسات وآثار سيئة أخلت البلاد، وقد لاحظ هذا الزياني حيث قال كلما نزلت مترلا إلا وجدت أهله يدفنون موتاهم وهذا ما يدل على أن الوباء خطير وضاعف نسبة الوفيات[1].

ويشير الزياني للوباء العظيم الذي اجتاح بايلك الغرب في قوله: "ثم حدث الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط، فمات به جل الناس بدوا وحضرا، آل الأمر فيه إلى أن انتقل أهل الحضر، والباي بأهله ومخزنه إلى البدو في خيام الشعر ظاعنين ظعون الأعراب البادية زمانا طويلا، وقد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر، وأدار بها الزمالة ثم الدوائر، فسمي العام بعام الخيمة الحمراء"[2].

ب-الجذري (Variole): هو مرض جلدي شديد العدوى تسببه الحمى (فيروس)، يكون على شكل بقع حمراء في الجلد، إذا لم يتم علاجه يترك تقيحا، من أعراضه ارتفاع درجة الحرارة حيث تفوق 40 درجة، بالإضافة إلى صداع شديد، ويمكن أن يسبب إعاقات مثل العمى والصمم، وقد يؤدي في بعض الأحيان إلى الموت، وتعتبر فئة الأطفال أكثر فئة معرضة لهذا الوباء[3].

أرجع المؤرخون تاريخ وجود هذا الوباء بالجزائر إلى أكثر من 3000 سنة، وكان دخوله للجزائر يتم عن طريق الايطاليون وكذا اللاجئين من الإسبان، وقد عرف انتشارا واسعا في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، وكان يصيب البلاد بشكل دوري شأنه شأن الوباء السابق الذكر لكن

---

[1]- مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1981، ص-ص: 39، 40.

[2]- محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي بوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص-ص: 269، 270.

[3]- مباركة زبيدي ومحمد عبد الرؤوف ثامر: "الأمراض والأوبئة المتواجدة في منطقة الجنوب الشرقي من الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بين 1900-1962 (بسكرة – الوادي – ورقلة)"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج14، ع1، 2023/01/31، ص: 191.

كل أربع أو خمس سنوات، أحدث هذا الوباء هلعا كبيرا وسط السكان لكثرة الوفيات التي خلفها وما تركه من تشوهات وإعاقات[1].

الجذري ينتشر في مناطق عديدة وتكثر الإصابة به خلال موسم الأمطار، وبالنسبة للعدوى ارتبطت بالاحتكاك بين بلاد المغرب والبلاد الإفريقية وعلى رأسها السودان، أما فيما يخص الوفيات المتكررة جراء هذا الوباء فترجع لتخوف الأهالي من الأطباء الأجانب وكانوا يعتمدون على الطب الشعبي، وكان يطلق على الشخص المصاب بداء الجذري "مجدر"[2]، تم تسجيل داء الجذري في الجزائر فترة الحكم العثماني منذ بداية القرن السادس عشر، عندما ضرب الحامية الإسبانية في بجاية عام 1509م، ثم عام 1560م، وتفشى هذا الوباء المعروف بالحبوبة في عهد الداي صالح رايس سنة 1552م، كما تم تسجيله بمدينة الجزائر عام 1789م مزامنا لوباء الطاعون[3].

وكان الناس يعالجون وباء الجذري بحفظ المريض في حالة دفئ وإعطائه حبات من التين في العسل[4]، ويستمرون في هذه العملية إلى غاية خروج البثور على جسم المريض، ولإزالة آثارها يحكونها بالزبدة الطرية، ويضعون الكحل على عيون المريض لوقايتها من وباء الجذري[5]

ج-**التيفوس:** هو داء يسببه القمل والبراغيث، ويعرف بحمى السجون حيث تشير المصادر أنه في سنة 1759م مات حوالي 25% من السجناء بسببه، كما وصف أيضا بالحمى القراصية، يتكرر كل

---

[1]- صليحة علامة: مرجع سابق، ص-ص: 212، 213.

[2]- حفيظة عتوان وربيعة إرسان: مرجع سابق، ص: 49.

[3]- عبد القادر قندوز: **الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني**، جامعة تيارت، ص: 271.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1989، ج2، ص: 418.

[5]- حميد آيت حبوش: "الواقع الصحي للجزائر العثمانية من خلال المصادر الأوروبية"، **مجلة آفاق فكرية**، مج9، ع2 خاص، 2021، ص: 156.

عشرين سنة تقريبا[1]، ومن أعراضه السعال الجاف وكثرة الاستفراغ وينجم عن التلوث البيئي آنذاك[2] وللتيفوس نوعان:

- التيفوس الطفحي (Typhus exanthematique): ويدعى أيضا بالنمشي انتشر بين صفوف الفرق العسكرية الإسبانية المتمركزة في مدينة بجاية، ومن أعراضه طفح جلدي شديد مع صداع وارتفاع درجة حرارة الجسم إلى 40 درجة.

- تيفوس مورين يسمى باللاتينية : (typhus murin) وأعراضه مماثلة للنوع الأول[3].

ثانيا/ الأمراض:

عانت الجزائر إلى جانب الأوبئة من أمراض متعددة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر مخلفة آثارا جسيمة على صحة الإنسان، ونذكر من هذه الأمراض على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1-الحمى: هناك عدة أنواع من الحمى التي أصابت الجزائر منها حمى المستنقعات أو حمى الملاريا (La palpismo)، والتي يعود سببها إلى المياه العكرة بالمستنقعات، ومن المناطق التي كانت أكثر عرضة لها في الأرياف خاصة نجد سهل متيجة، حيث ذكر العالم النباتي "دوفنتان" بأن هواء متيجة مضر جدا في فصل الصيف بسبب المياه التي تتراكم في السهل خلال فصل الشتاء، وتمتد الروائح الكريهة والحمى في هذا السهل خلال فصلي الصيف والخريف، مما يصعب على السكان الاستقرار في هذه المنطقة لأنهم لا يمتلكون حلولا لعلاجها[4]، وقد أكد حمدان خوجة هذه الحقيقية بقوله: "إنني أزور هذا السهل مرة في ربع كل سنة لأنني أخشى الحمى في الفصول الأخرى، وحتى في هذه الفترة

---

[1]- عبد الرحمان قدوري وآخرون: **دراسة إحصائية للأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1552-1822) – وباء الطاعون أنموذجا** –، سلسلة أعمال مؤتمر الأوبئة عبر التاريخ، دار خيال للنشر والتوزيع، برج بوعريريج –الجزائر، 2021، ص: 138.

[2]- فاطمة الزهراء طوبال:" الأمراض والأوبئة بالجزائر فترة الحكم العثماني من خلال البحوث الطبية والطرق العلاجية لابن حمادوش الجزائري"، **مجلة آفاق فكرية**، مج9، ع2 خاص، 30/ 10/2023، ص: 37.

[3]- عثمان بوحجرة: **الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م (مقاربة اجتماعية)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إش: دادة محمد، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2014-2015، ص-ص: 49، 50.

[4]- عائشة غطاس: مرجع سابق، ص-ص: 126، 127.

آخذ معي ماء الكولونيا وغيره مما يقينني شر الهواء الفاسد، كما أتزود من ماء مدينة الجزائر أشرب منه. إن هذا السهل يشبه الغدير في الشتاء، وفي الصيف والخريف تستوطنه الحمى باستمرار لدرجة أنه من الصعب جدا إتقاؤها "[1].

كما عرفت المناطق المجاورة لوهران انتشار البحيرات المالحة وكثرة المستنقعات، والذين كانوا أكثر عرضة للحمى هم سكان المناطق السهلية خاصة في فصل الربيع، على عكس المناطق الجبلية التي حافظت على صفائها[2]، والأمر مشابه مع مدينة تقرت وهذا ما شهد به الأغواطي إذ يقول عنها: "ولا يأتي لهذا المكان عربي ما عدا المصاب بالحمى"[3]. أما الرحالة المغربي أبو القاسم الزياني فأصيب بالحمى عندما جاء إلى الجزائر حيث قال عنها: "ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا...ووجهت من حاشيتي من ياتيني باللوازم...فما رجع إلا وأنا مصاب بالحمى"[4].

بالإضافة لحمى المستنقعات نجد حمى الربيع المعروفة بالحمى الصفراء(Fievre jaune) وحمى الصيف، والتي واستهدفت فئة المسنين بشكل كبير، ومن أعراضها الإسهال الذي يضعف الجسم قليل المناعة، وقد أدت إلى هلاك نسبة كبيرة من الناس لأنها كانت منتشرة في الإيالة منذ 1664مم[5].

وقد كانت أمراض الحمى منتشرة في الجزائر بشكل كبير خاصة عام 1765م حيث كانت مصحوبة بصداع والتهاب المعدة والأمعاء. ولعلاج الحمى كانت هناك عدة طرق تقليدية بسيطة منها أن الجدافين عندما يصابون بالحمى يقوم رب السفينة بإرغامهم على مواصلة التجديف ويطعمهم الخبز المجفف والماء العذب واللحم المملح، وهو ما يساعدهم على إخراج العرق ويعجل في شفائهم، كما كانت هناك طريقة أخرى للعلاج حيث تربط أيدي المريض ويوهم بأنه سيلقى به في النار

---

[1]- حمدان خوجة: مصدر سابق، ص-ص: 49، 50.

[2]- كمال بن صحراوي: مرجع سابق، ص: 179.

[3]- ابن الدين الأغواطي: مصدر سابق، ص: 101. وهذا تعبير مبهم ويفهم منه أن الإنسان الصحيح لا يدخل مدينة تقرت التي بها مرض شهير يسمي التهم -بتشديد التاء وفتحها، وفتح الهاء وسكون الميم – وهو نوع من الحمى يأتي في بعض فصول السنة.

[4]- أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح وتع: عبد الكريم الجيلالي، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع، د.ط، الرباط، 1412هـ/ 1991م، ص: 151.

[5]- فلة القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص، ص: 174، 157، 177.

وعندما يدرك ذلك يلوذ بالفرار، ويلاحظ أن الجري يساعد المريض على إخراج العرق ويشفى من مرضه[1].

ومن بين الأدوية المستخدمة لعلاج الحمى نجد أقراص الكين التي استخدمها الطبيب ابن حمادوش عندما أصابته حمى شديدة حيث قال:"...دققت الثمن الأول وشربته في فنجان قهوة من البن، فلما استقر في بطني أمسكت الأعضاء كلها عن الاختلاج إلا عرقا واحدا في اليد اليمنى بقي يختلج اختلاجا يسيراً، فلما شربت الثمن الثاني انقطع من كل عضو، ثم شربت الثمن الثالث فلم يبقى ألم منها...فانصرفت تلك الحرارة عني والحمد لله"[2].

2-أمراض العيون: انتشرت أمراض العيون هي الأخرى بالجزائر بشكل لافت ولها عدة أنواع:

الالتهاب الحبيبي، التهاب القرنية والقيحي والتهاب القزحية والزهري والتهاب العدسة.

ومن العوامل المسببة لأمراض العيون نذكر: العوامل الطبيعية مثل الضوء والحرارة والغبار، والعوامل البشرية المتمثلة في الأوساخ المتراكمة والفوضى والاختلاط، فالرمد الحبيبي يعتبر من أخطر أمراض العيون انتشارا[3]، ويذكر هايدو أن الجزائر تعتبر خالية من الأمراض بشكل عام باستثناء مرض الرمد الذي يصيب الأطفال بشكل رئيسي في أوائل الربيع والخريف[4]، ولقد أكد حمدان خوجة ذلك بقوله: "إن امتزاج العنصر التركي بالعنصر الأندلسي قد أنتج عنصرا مختلطا من النوع الرفيع، الأمر الذي جعلنا لا نجد في مدينة الجزائر رجالا من ذوي العاهات أو المصابين بالأمراض الخطيرة"[5].

---

[1]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص: 92.

[2]- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري: **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال "**، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1683، ص: 84.

[3] - J. Brault : **pathologie ET HYgiene, Typographie Adolphe Jordan, Alger,** 1905, p : 55.

[4] - De Haedo : (Fray Diego) : **Topographie et Mistoire Generale dAlger Trad, De lespagnol par le DR Monnereau et ABerbrugger. In. R.A N 15 Annee 1871.** P : 223.

[5]- حميد آيت حبوش: مرجع سابق، ص: 157.

ومن بين أعراضه ألم شديد حول العين واحمرار وتورم كبير وإفرازات، فالرمد هو مرض الفقر، ومن بين مسبباته بعض العادات السيئة مثل نفخ النساء للنار من أجل الطبخ فبذلك يؤثر الدخان على العين، أو بفعل الجير والكلس أثناء تبيض المنازل، أو بفعل عملية جني الصبار أو بفعل ما يسمى بالتين البربري وما يحمله من رياح، فيعاني الشخص من جرائه وقد يصاب بالعمى[1].

3-الأمراض الصدرية: نذكر منها السل والسعال.

أ-السل: مرض بكتيري معد من الأمراض التي تصيب الإنسان بالإضافة إلى بعض الحيوانات مثل البقر، يؤثر السل بشكل كبير على الرئتين، وترجع أسباب انتشاره إلى تدني المستوى المعيشي وسوء التغذية[2]، ومن علاماته حمى دقية، وعرق يتصبب في كل وقت، وضعف الجسم وذبول البدن، وانحناء الأطراف وانتفاخها خاصة الأرجل، ويأخذ الشعر في الانتثار لعدم الغذاء، ويشتد العطش، وفي الأيام الأخيرة يشتد السعال ويؤدي إلى نفث الدم وهو ما يؤدي بدوره للموت[3]، ويكثر السل في سن ما بين ثمان عشرة سنة إلى حدود الثلاثين سنة، وينتشر أكثر في المناطق الشديدة البرد[4]، وقد عانت الجزائر من هذا المرض في كثير من المرات، فقد ضربها بين سنتي 1552و1782م حوالي ستة وعشرين مرة سجلت فيه عدة حالات إصابة بهذا المرض سنة 1693م، واستمر إلى غاية سنة 1694م، وقد تسبب في موت الكثير من الناس وتراجع عدد السكان[5].

ب-السعال: هو مرض بكتيري، سريع الانتشار والعدوى، يصيب الجهاز التنفسي بشكل حاد وتطول مدته حيث تصل إلى أربعة أو ثمانية أسابيع[6]، يبدأ بزكام ورشح بسيط مع إفرازات دمعية

---

[1]- عبد القادر قندوز: الطب والأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص: 84.

[2]- سامية شنيني: **الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني 1790-1830**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إش: فتيحة شلوق، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018/2017، ص: 45.

[3]- ابن سينا: **القانون في الطب**، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.ن، ج2، ص: 250.

[4]- عبد الكريم شحادة: **صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي**، أكاديميا للنشر والطباعة، د.ط، بيروت-لبنان، 2005، ص: 73.

[5]- عثمان بوحجرة: مرجع سابق، ص: 50.

[6]- حياة بوشريبشة وميلود بلعالية: "أمراض النساء والأطفال في مدينة قسنطينة على ضوء سجل الوفيات(1840-1841)"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج6، ع1، 2022، ص: 821.

وارتفاع درجة الحرارة، ومن أعراضه أن لون بشرة المريض يميل إلى الأزرق وتجحظ عيناه ثم يصاب بإرهاق شديد، والعدوى من هذا المرض تنتقل بطريقتين الأولى مباشرة والأخرى غير مباشرة، فالأولى تكون عن طريق الرذاذ المتطاير من المريض، والطريقة غير المباشرة تتم باستخدام أشياء المريض الملوثة بالمكروب[1].

4-الأمراض الجلدية: من بين الأمراض المنتشرة بكثرة بين السكان بجميع أشكالها وهذا راجع للظروف غير الملائمة في السكن وسوء الوضعية المعيشية، والتغيرات المناخية المستمرة خاصة ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها والتي تسبب الالتهابات الجلدية بشكل كبير سواء في الأرياف أو المدن بالإضافة إلى انتشار الفقر وتدني المستوى المعيشي، وانعدام النظافة والجهل بالقواعد الصحية، لذلك تكثر الأمراض الجلدية[2]، ولعل من أشهرها الجرب.... الاكزيما... القرع.... الصدفية[3].

5-النقرس: وهو ما يعرف بداء الملوك، يصيب الأشخاص الذين اعتادوا على شرب الخمر وأكل الدجاج وغيره من الأطعمة الشهية، ومن أعراضه ألم شديد يصيب القدمين يمنع من الحركة[4].

6-الصداع: تسببه ضربة الشمس في الحرارة الشديدة التي تفوق 39 درجة، ومن أعراضه حمرة الوجه والالتهاب مع السهر وعدم القدرة على النوم، وسرعة حركة العين، وتشوش الذهن والهذيان[5].

ومما سبق نقول بأن الأوبئة والأمراض انتشرت بشكل كبير وقد أدت إلى هلاك العديد من الدواوير والتجمعات السكانية بالأرياف، كما أتلفت الكثير من قطعان المواشي، وقلت اليد العاملة

---

[1]- حنين ولى ومصرى خليفة: **أطلس4 دائرة معارف طبية وصيدلانية مبسطة**، دار نوبار للطباعة، ط12، 2005، ج1، ص-ص: 200، 201.

[2]- قندوز عبد القادر: مرجع سابق، ص: 79.

[3] - J. Brauit : OP, CIT, P : 62.

[4]- محمد صديقي: **الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين 5-7هـ/11-13م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط والحديث، إش: عاشوري قمعون، جامعة حمه لخضر الوادي، 1441-1442هـ/2020-2021م، ص-ص: 84، 85.

[5]- أبو الحسن سعيد بن هبة الله البغدادي: **المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض**، تح ودر وتع: محمد ياسر زكور، راجعه: عمر الفاروق محمد غصن، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية -جدة، 1432-2011، ص: 89.

بالحقول بنواحي قسنطينة، عنابة وميلة، ومما ساهم في انتشار هذه الأمراض والأوبئة الفتاكة جهل الناس لوسائل الوقاية والعلاج واعتبار ما حل بهم بأنه قدر من الله لا يقوى الطبيب على علاجه، كما تكاد تنعدم الإجراءات الوقائية والاحترازية في الأرياف خاصة واقتصارهم على العلاج التقليدي الذي يقوم به الطالب أو المداوي أو العشاب[1]. وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في الفصل الموالي.

لم تسلم الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر من اقتحام الأوبئة والأمراض لأراضيها فكان بذلك المجتمع الجزائري المستهدف الأول والخاسر الأكبر حيث ظهرت العديد من الأمراض والأوبئة التي فتكت بالناس كالطاعون وحمى المستنقعات، حيث وجدت الأرض الخصبة للانتشار.

واختصارا لما تم ذكره آنفا يمكن القول أن:

- أغلب المفاهيم العلمية التي أطلقت على مصطلح الوباء تصب في قالب واحد يتمثل في أنه مرض عام تسببه البكتيريا، وفيما يخص جدلية الوباء والطاعون فقد تم الفصل فيها، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون.

- المجتمع الجزائري عاش خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ظروفًا اجتماعية صعبة أثرت بشكل كبير على الوضع الصحي، فالغذاء لم يكن متنوعًا وصحيا، واللباس عادي لدرجة أن الناس يلجؤون إلى ملابس الأموات المصابين بالداء مما يجعل العدوى تنتقل من شخص لآخر.

- أثر الموقع والمناخ على الحالة الصحية، كون الجزائر تتمتع بموقع جغرافي استراتيجي جعل منها محط أنظار العديد من الدول التي تسارعت على ربط علاقاتها معها، كما أن للتقلبات المناخية من برد وحرارة دور في تفشي الأمراض والأوبئة خاصة تلك التي تزداد وطأتها مع ارتفاع درجات الحرارة.

[1]- فلة القشاعي المولودة موساوي: **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إش: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص-ص: 29، 30.

- كانت الجزائر أكثر عرضة للكوارث الطبيعية بشتى أنواعها التي أدت بدورها إلى تأزم وتردي الأوضاع الصحية هذه الأخيرة التي تأثرت من الزلازل وكذا فترات الجفاف والقحط حيث لجأ الناس لأكل الميتة والأشياء العفنة التي تسبب لهم الأمراض.

- التعليم في الأوساط الريفية أوليا يعتمد على القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وأهملت العلوم العقلية على رأسها علم الطب، فقد كان التعليم يتم في مراكز تعليمية معينة منها المساجد والزوايا والكتاتيب.

- تنوعت واختلفت درجة وشدة الأوبئة في الجزائر من بايلك لآخر حيث نجد الوباء في بايلك الغرب أقل نسبة بالمقارنة مع باقي البايلكات.

- الأوبئة التي اجتاحت الجزائر لم تقتصر على منطقة دون أخرى بل شملت مختلف المناطق أريافا ومدنا، لكن تختلف في التأثر حيث نجد سكان الأرياف تأثروا بها أكثر من المدن حيث لم يتخذوا الإجراءات الوقائية والاحترازية منها، واعتبروها قضاءًا وقدرًا.

الفصل الثالث: سبل العلاج من الأوبئة والأمراض وانعكاساتها على الريف الجزائري

المبحث الأول: نظرة سكان الأرياف للأوبئة والأمراض وطرق مواجهتها

المبحث الثاني: وسائل وطرق العلاج

المبحث الثالث: انعكاس الأوبئة والأمراض على الجوانب العامة للريف الجزائري

لقد شكلت الأوبئة والأمراض المنتشرة في الأرياف الجزائرية خلال العهد العثماني بصفة عامة، والقرنين السابع عشر والثامن عشر على وجه الخصوص بيئة جزائرية غير صحية، وقد اختلفت النظرة لهذه الأوبئة من قبل السلطة وعامة الناس، فهناك من نظر إليها على أنها قضاء وقدر، وهناك من رأى بأنه لابد من القيام ببعض الإجراءات الصحية للحد من خطورتها أو القضاء عليها، كما اختلفت طرق مواجهتها بين السلطة والعامة فقد اعتمد بعض الحكام على نظام الحجر الصحي، في حين أن البعض الآخر تقاعس عليه و لم يول أي اهتمام لهذه الأوبئة، كما تعددت سبل العلاج هي الأخرى بين الطب الشعبي من خلال الأعشاب وكذا الحمامات المعدنية، والحجامة والكي وغيرها، وهناك من اعتمد على العلاج الروحاني كالتبرك بالأولياء الصالحين وكرامتهم، أما فيما يخص مهنة الطب فقد كانت قليلة وقليلة جدا، وأغلب الأطباء الموجودين في الجزائر أطباء أجانب ويختصون في علاجهم على الطبقة الحاكمة فقط، ولجأ بعض الناس إلى السحر والشعوذة ظنا منهم أن فيها علاجا لهم، كما تركت هذه الأوبئة والأمراض آثارا جسيمة على مختلف نواحي الحياة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية وحتى السياسية والعسكرية.

المبحث الأول: نظرة سكان الأرياف للأمراض والأوبئة وطرق مواجهتها

شهدت الجزائر خلال الفترة الحديثة خاصة القرنين السابع عشر والثامن عشر انتشار العديد من الأوبئة المعدية الفتاكة التي تتميز بسرعة انتقال عدوتها بين الناس في فترة وجيزة، وقد اختلف حول كيفية التعامل مع هذه الأوبئة، فهناك من اعتبرها قضاء من الله وقدرا واستسلم لها و لم يتخذ أي إجراء صحي تجاهها، وهناك من دعا للوقاية والاحتراز منها، إلا أن أساليب التطبيب كانت محدودة خاصة فيما يتعلق بالأوبئة التي تجتاح البلاد بشكل دوري، لهذا عملوا على إيجاد طرق ووسائل للحد منها أو على الأقل للوقاية من انتشار العدوى الوبائية بين كافة الناس.

أولا/ نظرة سكان الأرياف للأوبئة والأمراض:

ظل سكان الأرياف على اعتقاد بأن كل ما أصابهم من أسقام له أسباب خارجية، وأرجعوا الأوبئة والأمراض إلى منطلق ديني مفاده القضاء والقدر، وهناك من أرجعه للعين الحاسدة التي تصيب الإنسان والحيوان على حد السواء. فكيف كانت نظرة سكان الأرياف للأوبئة والأمراض؟

1-قضاء وقدر: سيطرت فكرة القضاء والقدر على الناس بحيث استسلموا للقدر في اعتقادهم أن المرض عقابا إلاهي لكن في المقابل نجد بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج والتداوي واتخاذ الوسائل والأسباب للحفاظ على صحتهم[1]، وهم أولئك الذين آمنوا بالحديث المنسوب للنبي – صلى الله عليه وسلم – " العلم علمان، علم الأديان وعلم الأبدان"[2].

وكان الناس يستسلمون للوباء ويكافحونه بالصلاة لأنهم يعتبرون أنه لعنة وغضب إلهي وامتحان لإيمانهم[3]، ويعتقدون أن ما أصابهم من أمراضا وأوبئة هو قضاء وقدر من الله، واستسلموا لكل المصائب على أنها إرادة الله سواء كانت أمراضا أو كوارث طبيعية كالزلازل والجراد والجفاف وغيرها، وهذا ما أكده الطبيب توماس شو في قوله: "...ومع ذلك وحتى أقدم فكرة عما وصلت إليه العلوم والفنون في بلاد البربر أشير بادئ ذي بدئ، إلا أنه فيما يخص الطب، فإننا نفتقر افتقارا كليا لأطباء أكفاء حيث تنتهي غالبية الأمراض الخطيرة بالوفاة أو المرض المزمن حيث أن كثير من المسلمين يؤمنون بمبدأ القدر الإلهي"[4]، وأنهم يرفضون بعناد أي نصائح ويصرون على عدم اتخاذ أي نوع من العلاج ويسخرون من الطب وينتظرون شفائهم من الطبيعة، وفي هذا الصدد يذكر الجنرال دوماس أبياتا شعرية بالدارجة يرددها السكان أثناء اجتياح الطاعون على البلاد وهي كالتالي:

الحبوبة جات فالبلاد

وصل الطاعون للبلاد، يا ربي أحفظ قبيلتي

وصل الطاعون لقبيلتي يا ربي أحفظ دواري

وصل الطاعون لدواري يا ربي أحفظ خيمتي

---

[1]– وافية نفطي:" مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة آفاق فكرية**، مج5، ع10، ماي 2019، ص: 31.

[2]– أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 417.

[3]– فاروق مردم بك: "الدولة العثمانية من الطاعون إلى الكوليرا إلى الحمى الصفراء"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، ع123، صيف 2020، ص: 03.

[4] - DR.SHAW.Voyage dane la Rrgence dAlger, Traduit de langlais par J. Mac. Carthy, Ed. Bouslama, Tunis 1980, p : 81 .

وصل الطاعون لخيمتي يا ربي أحفظ لي راسي[1]

2-العين الحاسدة: جاء في كتاب أحكام الرقى والتمائم تعريف العين على أنها النفس حيث يقال: عنت الرجل، أي أصبته بعيني، وهو معين ومعيون، والفاعل عائن، ويقال رجل معيان وعيون: أي شديد الإصابة بالعين، ويقال: نفسته بنفس أي أصبته بعين، ورجل نافس أي عائن، وتسمى العين بالنظرة[2]، وكان السكان يكثرون من الأقوال عن العين، مثل: العين حق، أو العين تخلي الديار وتعمر القبور، وأن نصف الأمة المحمدية تموت بالعين، ولما كانت العين تؤثر على الناس سلبا كانوا عندما يتحدثون عن شيء يخصهم كالصحة الجيدة مثلا أو نجاحهم في مجال ما يتحفظون مخافة من العين، ومن باب التهور والمخاطرة أن يقول الشخص أنه بصحة جيدة لأن ذلك في نظرهم يؤدي إلى زوال النعمة، وقد تزداد خطورة العين إذا صاحبتها بعض الألفاظ الدالة على الإعجاب أو الاستحسان[3]، فعندما تصيب العين الإنسان أو حتى الحيوان يقوم الطلبة أو بعض النساء بممارسات معينة أو كلمات سرية لتفادي الإصابة بالعين الحاسدة، فالعين فعل الحسد يقوم به الصديق أو العدو[4].

وهناك من تعاملوا مع المرض بشكل واقعي، ونظروا له على أنه مرحلة انتقالية بين الحياة والموت، وهو ما دفعهم إلى تكثيف العبادات في فترة المرض، وهذا لا يعني أنهم استسلموا للمرض بل في كثير من الأحيان كانوا يسعون للبحث عن العلاج والشفاء في مختلف الوسائل[5].

وتماشيا مع ما تم ذكره حول إرجاع المرض للقضاء والقدر أدى ذلك ببعض الناس إلى عدم التحلي بالحيطة والحذر والوقاية من العدوى، وفي هذا الصدد كانت بعض النسوة تصبن بأمراض معدية جراء احتكاكهن بالجثث وبكائهن عليها، وهذا ما يدل على مدى استسلام الناس للقضاء

---

[1]- Daumas, Mœurs et cputumes de lalgerie, librairie de L.Hachette et c , paris , 1853 , p : 52.

[2]- فهد بن ضويان: بن عوض السحيمي، **أحكام الرقى والتمائم**، أضواء السلف، ط1، الرياض،1419هـ-1998م، ص: 87.

[3]- عبد القادر قندوز: الطب والأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص: 106.

[4] - Daumas. OP. CIT, p 52 .

[5]- عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص: 167.

والقدر، وعدم الالتزام بأبسط طرق الوقاية والحيطة لانتقال العدوى، وذلك لاعتقادهم بأن الأوبئة تتردد على الناس ثم تزول وفقا لإرادة الخالق دون تدخل المخلوق في تغيير ما حل به[1].

ثانيا/ تصنيف الأمراض ومواجهتها من قبل العامة والسلطة:

كان الناس يطلقون تسميات على المرض ويصفونها حسب مكان الألم، مثلا يقولون مرض الرأس، مرض الجنب ومرض الرئة، أي حسب الموضع الذي يشتكي منه الشخص أو حسب ما يحدثه المرض من تغيير في لون الإنسان مثل بوحمرون[2]، وبوصفير، وعلى حساب ما يحدثه في الأعضاء مثلا: بونتاف بوفالج ويبقى هذا التصنيف بدائيا يرتكز على المشاهدة السطحية ولا يؤخذ بعين الاعتبار سبب المرض أو نوعه[3]، كما اختلفت طرق تعامل السلطة والسكان مع المرض ومواجهته فلكل منها طرقه وسبله الخاصة به في مواجهة الوباء وحسب إمكانياته المتوفرة.

1-مواجهة الأوبئة والأمراض من قبل السلطة: لم يعتمد نظام الحجر الصحي كقاعدة صحية أو وسيلة وقائية ثابتة لدى الحكام بل وقف الأمر على مدى وعي كل حاكم بخطورة الوباء[4]، فهناك من الحكام من دعى إلى التوكل على الله وعدم اتخاذ الإجراءات الوقائية معتمدين على قوله تعالى:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون ﴾ [التوبة: 51]، وهناك من دعى للاحتراز وأخذ الحيطة والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[البقرة: 195]، ومن بين الإجراءات التي اتخذها بعض الحكام نجد:

---

[1]- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص: 288.

[2]- ويعرف أيضا بمرض الحصبة أو الحميرة، ولمعالجته يوضع المريض في غرفة يكسى فراشها وأغطيتها وجدرانها باللون الأحمر. ينظر: عبد المالك بكاي، مرجع السابق، ص: 160.

[3]- عبد القادر قندوز: المرجع السابق، ص: 108.

[4]- عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية – اقتصادية**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إش: مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص: 65.

أ-نظام الحجر الصحي (الكرنتينة):

ظهرت كلمة الحجر الصحي لأول مرة في إيطاليا، فالكلمة الإنجليزية "quarantine" مشتقة بالأصل من كلمة"quarantino" الإيطالية وتعني" 40 يوما" لأن الأطباء كانوا يفرضون حجرا لمدة أربعين يوما على المرضى، واختيرت هذه المدة دلالة لرمزيتها الدينية لدى المسيحيين في القرون الوسطى[1]، ويطبق نظام الحجر الصحي "الكرنتينة" عادة عند انتشار أي مرض معدي، فيطلب من الأشخاص الحاملين للعدوى بالبقاء في المترل[2]، وكان هذا الإجراء بمثابة قاعدة احترازية يتم اعتمادها مع كل السفن القادمة إلى الجزائر[3].

وقد تحدث حمدان خوجة عن نظام الحجر الصحي في كتابه: "إتحاف المنصفين والأدباء بالاحتراز من الوباء" أنه اشتهر في بلاد الإفرنج الاحتماء عن الوباء وسموه بـــ: "الكرنتينة"، فهم يلتزمون بعدم الاختلاط بالأشخاص والبقاء في المترل، ويذكر أيضا أنه هو أيضا اعتمد نظام الحجر الصحي وذلك لقوله: "وأنا العبد الحقير حضرت وقوع الوباء بالجزائر نحو عشرين سنة كما سبق والتزمت التحرز بأقل مما يحتاط الإفرنج فكنت أصلي الجمعة وأحضر جنائز أصحابي من غير أن اقتحم مجتمع الناس ومن غير أن أمس أحدا ولا قاشا"[4].

ويذكر ابن حمادوش في رحلته أن الحجر الصحي كان قد طبق في الجزائر على مركب من الحجاج القادمين من الإسكندرية، حيث تدخل الباشا ومنع الحجاج من النزول من على ظهر السفينة إلا بعد خضوعهم للحجر الصحي والتحقق من سلامتهم من المرض[5]، ومن بين المبادرات التي قام بها الحكام للتصدي للأوبئة والأمراض نجد:

---

[1]- نوال قحموص وأمال بن بريح: "الحجر الصحي كتدبير وقائي في مواجهة الأوبئة –جائحة كورونا نموذجا-"، **مجلة الدراسات القانونية المقارنة**، مج7، ع1، 2021، ص: 2972.

[2]- صلاح خيراني:" الحجر الصحي "الكرنتينة" في مواجهة الأمراض والأوبئة بالدولة العثمانية"، **مجلة آفاق فكرية**، ج9، ع2 خاص، 2021، ص: 64.

[3]- أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص: 151.

[4]- حمدان بن عثمان خوجة: **إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز من الوباء**، ص-ص: 32، 33.

[5]- ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 121.

داي الجزائر محمد بن عثمان[1]، الذي رفض السماح لأحد السفن الفرنسية القادمة من مارسيليا المحملة ببعض البضائع من الرسو في ميناء الجزائر لاشتباه طاقم السفينة بالإصابة بالطاعون سنة 1781م[2]، كما هو الحال بالنسبة لصالح باي[3]، الذي طبق نظام الكرنتينة بعد أن أصبحت قسنطينة ملتقى القوافل التجارية الآتية من طرابلس الغرب وتونس والمغرب الأقصى، وفي سنة 1787م اعتمد على إجراء آخر وهو الحزام الصحي حول مدينة عنابة لمنع دخول العدوى لقسنطينة[4].

كما قام حاكم القالة الفرنسي بإذن من الباي سنة 1793م باتخاذ تدابير وقائية متمثلة في إغلاق الموانئ ومنع القادمين من الدخول، وعدم الاتصال بالبواخر الأجنبية مجهولة المصدر[5]، ونجد أيضا الباي محمد الكبير[6]، الذي طبق منطلق الرعاية الصحية نظرا لتميزه بالمعارف الطبية الواسعة، حيث كان يصف بعض الأدوية للناس وسمي بطبيب الفقراء، فقد شجع الشيخ عبد اللطيف على تأليف

---

[1]- **الداي محمد بن عثمان (1766-1791):** تعود أصوله إلى قرمان جنوب الأناضول، أما عن تاريخ ميلاده فيكتنفه بعض الغموض، واكتفت بعض الدراسات بذكر مولده بداية القرن 18م، سافر على الجزائر وانخرط في صفوف الأوجاق، اشتغل في منصب الخزناجي، وبفضل إنجازاته عين دايا على الجزائر بتاريخ 08 فيفري 1766. للمزيد ينظر: سامية سوالي وصبحية بوخوش: "الحياة الثقافية في الجزائر في عهد الداي محمد بن عثمان (1766-1791)"، **مجلة الباحث**، مج 15، ع2، 2023، ص-ص: 361، 362.

[2]- جمال الدين عمراوي: "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية بين الحجر الصحي والتطبيب"، **مجلة آفاق فكرية**، م9، ع2 خاص، 2021، ص: 233.

[3]- **صالح باي(1771-1792):** من أبرز بايات الجزائر في الشرق، كان ذا شهرة واسعة، ذاع صيته بفضل إنجازاته، عرف عصره ازدهارا وانتعاشا حتى خاف منه دايات عصره من الاستقلال ببايلك الغرب لما رأوا الناس قد التفت حوله، اهتم بالتعليم وقرب إليه العلماء ورجال الدين والفقهاء، كما اهتم بالمنشآت الدينية. للمزيد ينظر: محمد الأمين شرويك: "جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية"، **مجلة العلوم الإسلامية والحضارة**، ع8، جوان 2018، ص: 575.

[4]- رقية جلولي وحليمة قدوري: "السلطة والمجتمع والتصدي للأوبئة في الجزائر ما بين القرنين (8-13هـ/ 14-19م)"، **أعمال مؤتمر الأوبئة عبر التاريخ**، ص: 232.

[5]- محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص: 51.

[6]- **الباي محمد الكبير باي وهران:** رجل من رجالات الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها إذ حكم بايلك الغرب بصفة الباي من 20 جمادى الثانية 1193هـ إلى 25 جمادى الأولى 1212 (من جويلية 1779 إلى نوفمبر 1797م)، ولد بمليانة التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي، تميز عن بقية البايات بأعماله الإصلاحية. للمزيد ينظر: بلبراوات بن عتو: "الباي محمد الكبير-باي وهران 1779-1797 حياته وسيرته"، **مجلة عصور**، ع3، جوان 2003، ص: 1.

كتاب حول الطب سماه "المنهل الروي والمنهج السوي في الطب النبوي"، كما أمر كاتبه بن سحنون بجمع قاموس طبي، فجمعه حتى أضحى تأليفا هاما[1].

ومن هذا نستنتج بأن هناك بعض الحكام اهتموا بالطب وصحة الناس، والتزموا بالإجراءات الوقائية، في حين أن البعض الآخر تقاعس في اتخاذ التدابير اللازمة للحد من الأوبئة، وهذا ما سنتطرق إليه.

من مظاهر استهتار الحكام وعدم التزام التدابير الاحترازية للوقاية من الأوبئة والأمراض المعدية، وكذا عدم احترام الحجر الصحي ما تجسد سنة 1786م حين سمح الداي محمد لسفينة موبوءة بالرسو في ميناء الجزائر دون محاولة تطبيق الحجر الصحي عليها وهو ما أدى إلى انتقال العدوى[2].

كما كان شائعا الهروب من الوباء، حيث يذكر أن الباشا محمد تكرلي فر من مدينة الجزائر واختفى تحت خيمة بمنطقة كاكسين، كما فر محمد باي من مدينة وهران باتجاه سهل ملاتة إثر الوباء الذي اجتاح البلاد عام 1794م، حيث أطلق السكان عليه تسمية " عام طاعون عثمان ".

كما كان الداي دالي إبراهيم مهملا لأدنى الوسائل الوقائية وأظهر موقفا مستسلما للقدر، ونتيجة هذا الموقف تسبب الطاعون في هلاك أعداد معتبرة من الناس، ومن بين الحكام الذين تقاعسوا نجد الداي علي شاوش الذي لقي حذفه إثر حمى شديدة في شهر جانفي1718م معتقدا أن " ما هو مكتوب، فهو مكتوب، فلا مفر منه"[3].

ب-جلب الدايات الأطباء من أوروبا:

إن عدم اهتمام السلطة العثمانية بمجال الصحة والطب راجع لسياسة بعض الحكام في جلب أطباء أجانب لتقديم الرعاية الصحية لهم، مثل ما فعل صالح باي بشرائه طبيبا إيطاليا يدعى "باسكال غاميزو" بألف محبوب كان قد وقع في الأسر من طرف الرئيس محمد الإسلامي، كما كان للباي

[1]- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 419.

[2]- هجيرة غراف: مرجع سابق، ص: 155.

[3]- فلة القشاعي: الصحة والسكان، مرجع سابق، ص، ص: 235-237.

حسين بوكمية باي قسنطينة طبيب خاص به ذو جنسية هولندية يدعى "سانسون" ويتضح من هذا أن الحكام كانوا يجلبون الأطباء لأنفسهم ويؤمنون بالطب الأوروبي دون الاهتمام بصحة السكان[1].

ومن بين الدايات أيضا الذين استفادوا من الأطباء الأوروبيين الداي عبدي باشا[2]، حيث قدم له الرحالة الألماني هابنسترايت خدمة له ولآغا العرب بالرغم من المدة القصيرة التي قضاها في الجزائر والتي لم تتجاوز العشرة أشهر، وقد تسلم هابنسترايت من الداي ثلاثة أكياس من النقود مقابل دواء حضره له كما وجه صالح باي رسالة إلى مقر الشركة الفرنسية في مرسيليا يطلب طبيبا له كان يعمل في الباستيون، والأمر نفسه اتخذه أحمد باي القلي باي قسنطينة (1756-1771م) حيث بعث برسالة لمدير الباستيون بالقالة لكي يرسل له طبيبا مع بعض الأدوية[3].

ج-نظافة الشوارع:

أولت السلطة موضوع النظافة اهتماما كبيرا نظرا لأن الإسلام قد حث عن النظافة والطهارة، ولا يخفى بأنه في وقت الوباء وانتشار الأمراض يتأكد هذا الأمر كما قال الأطباء، كما أن الشرع حث على النظافة على مستوى الأفراد فحث عليها كذلك على مستوى الجوانب العامة في نظافة المياه والطعام والمرافق والممتلكات ونقاء الهواء، فالوسخ والقذارة مجلبة للأمراض والأدواء الكثيرة فلذلك نرى رجال السلطة يشددون في أيام الأوبئة والأمراض المعدية في النظافة ومن الأحاديث النبوية التي تحث عن النظافة على المستوى العام قوله صلى الله عليه وسلم " طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها "[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 419.

[2]- **الداي عبدي باشا:** ذو شخصية عسكرية قوية، من الدايات الباشاوات الذين تولوا الحكم بعد الداي علي شاوش، تلقب في وظائف عسكرية وإدارية كثيرة وشغل عدة مسؤوليات قبل أن يصبح دايا، منها آغا الصبايحية، ومنها ارتقى إلى منصب باي ولاية التيطري. للمزيد ينظر: فاطمة بن عزية: **الجزائر في عهد الداي عبدي باشا (1133-1145هـ/ 1721-1732)**، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: محمد السعيد بوبكر، جامعة غرداية، 2016-2017، ص: 34.

[3]- فوزية لزغم: الأطباء...، مرجع سابق، ص: 238.

[4]- صلاح بن عبد الله العبيان:"أخلاقيات المسلم في التعامل مع الأوبئة"، **مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية**، ع83، ربيع الثاني1442/ديسمبر2020م، ص-ص: 254، 255.

ومن بين الإجراءات التي اتخذتها السلطة في مجال النظافة إنشاء مصلحة خاصة تسهر على نظافة البلاد، وكان يرأسها مسؤول يدعى "قائد الزبل" يختار من عناصر الأوجاق[1]، ويعمل القائمون على النظافة وفق تنظيم محكم حيث يباشر العمال عملهم في صباح كل يوم لجمع القمامة[2]، كما يساعد السكان في تسهيل وتسريع عملية النظافة وذلك من خلال رمي الأوساخ في أماكن مخصصة أمام منازلهم، وتكون مبنية بالجدران على شكل أحواض لتفادي الرمي العشوائي، والأسر التي لا تقوم بكنس الأوساخ كانت تتعرض لغرامة مالية أو الضرب بالعصا[3].

2-مواجهة الأوبئة والأمراض من قبل العامة:

بالرغم من وجود مظاهر الاستهتار في الاحتراز من الأمراض المعدية سواء من طرف السلطة أو السكان، إلا أن بعض السكان في الأرياف عملوا على الأخذ بأسباب الوقاية من الأوبئة التي ضربت البلاد، بحيث كانوا يلجؤون إلى مناطق معزولة بعيدة عن الاختلاط بالمجتمع والسلطة، على سبيل المثال سكان منطقة القبائل كانوا يحتمون بالجبال في المناطق المعزولة من أجل تفادي انتقال العدوى، إضافة إلى إجراءات أخرى احترازية تقضي بعدم الخروج والتزام البيوت[4]. وذلك لامتثال حديث النبي –صلى الله عليه وسلم- « إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُوْنِ بِأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوْهَا، وَإِذَا وَقَع بِأَرْضٍ وَأَنْتم بِهَا فَلا تَخْرُجُوا منْهَا»[5]،كما كانوا يتفادون دفن الموتى المصابين بالأمراض المعدية، وكذلك العمل على منع المرضى الناقلين للعدوى من الاقتراب من منابع المياه[6]، كما كان هناك تكافل بين

---

[1]- **الأوجاق:** مفردها وجق، وهي كلمة عثمانية تعني لغة "القدر"، أي مجموعة العساكر الذين يحيطون بقدر الطعام، وبلغ عدد أوجاق الجزائر العثمانية 424 وجقا. ينظر: بن عتو: مرجع سابق، ص: 757.

[2]- صدام رزيم: "النظافة كممارسة حضارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، ج3، ع2، سبتمبر 2020، ص: 257.

[3]- خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إش: فاطمة الزهراء قشي، جامعة منتوري –قسنطينة، 1427هـ/ 2006م، ص: 491.

[4]- هجيرة غراف: مرجع سابق، ص: 157.

[5]- البخاري: **صحيح البخاري**، م1، باب ما يذكر في الطاعون، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، 2016، ص: 2579.

[6]- جمال الدين سعيدان: **الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين (1830-1919)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: كريمة بن حسين، جامعة منتوري –قسنطينة، ص: 62.

السكان للتغلب على الظروف المعيشية من أجل التخفيف من حدة الأمراض والأوبئة وكذا الكوارث الطبيعية، وهذا ما ذكره العربي الزبيري في كتابه "التجارة الخارجية للشرق الجزائري" عندما أصابت الجزائر مجاعة كبيرة "اضطر السكان إلى فتح مطاميرهم وتوزيع ما كانوا قد خزنوه من حبوب على إخوانهم الضعفاء الذين أشرفوا على الهلاك"[1].

وقد تكونت لدى السكان ثقافة احترازية بحيث كلما قدم ركب الحجيج وتبين أنه يحمل الوباء يعمل السكان على تحذير بعضهم البعض خشية انتقال العدوى فلا يدخل إليهم ولا يخرج أحد منهم إلى الركب، بالإضافة إلى مساهمة فئات مجتمع مدينة الجزائر بأموالهم الخاصة في تشييد مرافق عمومية ودينية وتخصيص قاعة خارج باب الوادي لعابري السبيل والفقراء لقضاء الليل وتوزيع بعض الإعانات على الفقراء مرة كل أسبوع[2]. ولعل خير دليل على الثقافة الاحترازية لدى السكان ما صوره العياشي أثناء مروره بمدينة الأغواط حيث بين لنا تعامل الأعراب مع الحجاج وذلك من خلال تقديم خبر كاذب لسكان المدينة بأن ركب الحجيج فيهم من هو مصاب بالوباء، وعلى إثره مُنع الحجيج من دخول المدينة وتصرفوا معهم بتصرف احترازي، ويظهر ذلك جليا في قوله: "وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل"[3].

وتعمل الخسائر الديمغرافية في الأوساط الريفية والحضرية على خلخلة التركيبة السكانية بالخصوص في أوقات الأزمات الصحية والكوارث الطبيعية، وهو ما يهدد تضاؤل عدد السكان، ذلك فإن إمكانية التجديد الديمغرافي في النسل لسد النقص الكبير في عدد السكان من خلال الإقبال على الزواج والإنجاب لتفادي حدوث نكبات ديمغرافية، فقد كان يلجأ اليهود عند احتدام الأوبئة لتزويج جميع شبابهم البالغين سن الزواج للمحافظة على استمرار نسلهم مخافة انقراض بعض الأسر، مثلا في سنة 1787م تم تزويج 400 شخص[4].

---

[1]- محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص: 55.

[2]- هدى حمودي وحيزية مصباحي: مرجع سابق، ص: 55.

[3]- عبد الله بن محمد العياشي: مصدر سابق، ص: 546.

[4]- يوسفي صرهودة: مرجع سابق، ص: 653.

المبحث الثاني: وسائل وطرق العلاج من الأوبئة والأمراض

تعددت الآراء حول وضعية الطب والعلاج والأطباء في الجزائر عموما، والريف على وجه الخصوص، ولعل أبلغ تعبير ما ذهب إليه الطبيب الرحالة الإنجليزي توماس شو الذي أكد تدهور وضعية الطب بالجزائر، وخلص إلى القول: "الطب لم يكن يسير وفق قوانين معينة أو مدروسة بل كان يعتمد على ما ألفه العرف"[1]، أما القسيس لابي بواري فوصف طريقة العلاج عند سكان الريف في الشرق الجزائري بأنها تقليدية جدا وبعيدة عن كونها صحيحة، ومن بين طرق العلاج التي اعتمدوا عليها نجد الحجامة التي كان يعتقد بفاعليتها، كما كانوا يومنون بالخرافات والتمائم التي يعطيها لهم المرابطون لعلاج مرضاهم[2]، ويوافقه الرأي وليام شالر الذي رأى بأن الطب كان بدائيا متخلفا ولا جدوى من الحديث عن مهنة الطب حيث قال: "...حيث أنها غير موجودة، أو متى كانت موجودة محتقرة بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه، هذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز"[3]، ويوافق حمدان خوجة الآراء السابقة حين تكلم عن حالة الطب عند أهل البوادي القاطنين بالسهول قائلا عنهم: "...عبارة عن نباتات معروفة بنجاعتها لأن السكان هنا لا يعرفون مبادئ التطبيب، وبالنسبة إليهم فالطبيعة وحدها هي التي تصنع المعجزات، ومن العادة أنهم في مثل هذه الحالات يلجؤون إلى الحمية"[4].

أما عن جهل الجزائريين في استخدام الأدوية يقول الطبيب والرحالة هابنسترايت: "ما دمت لا أستطيع أن أقنع هؤلاء الناس بأن كل مرض من الأمراض يتطلب دواء خاص، فهم يعتقدون بأن دواءًا واحدًا كفيل أن يشفي كل الحالات المرضية"[5].

ويعتبر هلتون سمبسون الذي قضى أربع سنوات بالجزائر واختلط بسكان الأرياف من الأوروبيين القلائل الذين تكلموا بإيجابية عن الطب في الريف وقال عنه: "إن حرفة الطب بالجزائر

---

[1]- فوزية لزغم: الإجازات العلمية...، المرجع السابق، ص: 70.

[2]- فوزية لزغم: الطب والأطباء...، المرجع السابق، ص: 235.

[3]- وليام شالر: المصدر السابق، ص: 81.

[4]- حمدان خوجة: المرآة، مصدر سابق، ص: 36.

[5]- هابنسترايت: مصدر سابق، ص: 77.

يرثها الابن عن أبيه ولهم كتب قيمة في هذا الميدان...وهي حرفة سرية، أصحابها ماهرون في علم ثقب العظام...ولهم دراية أيضا بطب العيون...ولهم دراية فائقة بعلم النباتات، يجمع الطبيب بنفسه الأعشاب من الغابة ثم يجففها أو يقطرها ويزنها ويمزجها ويحضرها للمرضى"[1].

وينحصر الطب في الجزائر وخصوصا عند سكان الأرياف في التداوي بالأعشاب والنباتات التي توفرها لهم الطبيعة، ولكن هذا لا ينفي سعيهم إلى البحث عن طرق علاجية أخرى امتزجت بالخرافة والشعوذة كالتمائم والسحر والتبرك بالأولياء الصالحين، في حين كان بعض السكان يلجؤون إلى الرقية الشرعية والطب النبوي، أما بالنسبة للأطباء فلم يكونوا محليين فقط بل كان هناك أيضا أطباء أجانب، ومن القائمين على العلاج في الجزائر نجد:

- **الطويبب:** وهو شخص يجمع بين الطب والصيدلة والجراحة بحيث يصف الدواء للمريض ويعطيه إياه في نفس الوقت، وفي الغالب يكون كبيراً في السن، كما يقوم بالجراحة أيضا.

- **الحكيم:** طبيب وعالم في نفس الوقت، وعلاجه يتمثل في أنه يكتب فوق الأدوية.

- **الطالب:** في بعض الأحيان يكون مساعدا للطويبب وأحيانا أخرى يكون كاتبا للتعويذات.

- **المداوي:** يستعمل مباشرة الأدوية للأمراض والجروح، ويقوم بتخفيف الآلام.

- **المرابط:** رجل دين حافظ للقرآن الكريم، ويتمثل علاجه في كتابة آيات قرآنية في ورقة يحملها المريض، له قدسية من قبل الناس حيث يعظمون ضريحه أو الشجرة التي يستظل بها[2].

أولا/ اللجوء للأطباء والمشعوذين:

1-الأطباء: هناك الأطباء المحليون والأجانب الذين جلبوا في الأسر أو اشتراهم الحكام للقيام بصحتهم، وفيما يلي سنحاول الوقوف على بعض الأطباء المحليون والأجانب:

---

[1]- عبد القادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، ط1، الجزائر، 1972، ص: 247.

[2]- عبد القادر قندوز: مرجع سابق، ص-ص: 99، 100.

1-1/ الأطباء المحليين:

كان عدد الأطباء في الجزائر قليلا جداً وهو ما جعل بعض الرحالة الأوروبيين يجزمون بعدم وجود طبيب واحد بالجزائر ومن بينهم لوجي دوتاسي الذي قال: "لا يوجد أي طبيب لا في مدينة الجزائر، ولا في أي ناحية من المملكة".

وبالنسبة لكفاءة الأطباء الجزائريين كانت محدودة بالمقارنة مع الأطباء الأوروبيين، وقد كان يسميهم البعض بالمتطببين وأطباء الأعشاب أو المداوين[1]، ومن أبرز الأطباء في الجزائر خلال العهد العثمانيين نجد:

- **ابن حمادوش:** عبد الرزاق بن محمد بن محمد، المعروف بابن حمادوش الجزائري، ثقافته كانت كثقافة معاصريه ولكنه انفرد عنهم بالتخصص في الجانب العلمي من هذه الثقافة، ونجده يميل بطبعه إلى ما يسمى بالعلوم الرياضية والطبية، فهو صيدلي وطبيب وفلكي[2]، فقد قامت دراسته على جهوده الخاصة، كما اعتمد على ملاحظاته وتجاربه الخاصة، ولا نجد من أساتذته في الطب إلا بعض العشابين، كما كان يصنع بعض المستحضرات الطبية بنفسه، وقد ألف العديد من الكتب في الطب ولعل من أهمها: الجوهر المكنون من بحر القانون في أربعة كتب أشهرها الجزء الرابع بعنوان: كشف الرموز، وأيضا كتاب تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج[3].

-أحمد بن قاسم التميمي البوني (أبو العباس): (1036-1139هـ/1652-1726م):

ولد ببونة (عنابة)، من كبار فقهاء المالكية وعالم بالحديث رحل إلى المشرق وأخذ عن علماء مصر مثل عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، وأبي زكريا يحيى بن محمد الشاوي المليانى، تصدر الإقراء بالأزهر، وأخذ عنه العديد من علماء الجزائر منهم عبد القادر الراشدي القسنطيني وغيره[4]، كان من

---

[1]- فوزية لزغم: **الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني**، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص: 236.

[2]- عبد الرزاق بن حمادوش: رحلة ابن حمادوش الجزائري، مصدر سابق، ص-ص: 9، 10.

[3]- فوزية لزغم: الإجازات العلمية...، مرجع سابق، ص: 71.

[4]- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت-لبنان، 1400هـ-1980م، ص: 49.

الأوائل الذين أعطوا أهمية وكتبوا في الطب، كان يجمع بين الطب والروحانيات في أعماله الطبية، له خمسة وأربعون مؤلفا في مختلف المجالات منها: " إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة" الذي ذكر فيه أمراض العيون والأذن والأنف والأسنان والفم والسعال والسل، وله تأليف آخر موسوم بـــ: "مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب"، وهو عبارة عن موسوعة صغيرة تتحدث عن الأدوية وطرق العلاج، وكان الدافع من تأليفه الحديث القائل بأن الطب نصف العلم، ومما جاء فيه:

يقول أحـــــــمد الفقير البـــوني هو ان قـــــاسم الرضـــــا المصون

الـــحـــمد لله الذي أبـــــاحـــا الطيبـــات زادنـــــا أربـــاحـــــا

جاعل علم الطب نصـــف العلم كما أتى عن النبـــي نصـــف الحلم

وقـــــد أكرر كـــاهـــل الفن زيـــادة فـــي الـــفـــع دون مـــن[1]

- المتطبب محمد بن علي باديس الصنهاجي:

يجمع المؤلف بين المعارف الطبية الإفريقية والعربية ألف كتاب تحت عنوان "المنافع البينة وما يصلح بالأربعة أزمنة" تطرق من خلاله إلى منافع بعض الأدوية مثل أمراض الحلق والرأس والأضراس وأعضاء القلب والرئة، المعدة والطحال، وذكر بعض الأدوية وطرق التداوي لأمراض متعددة كالروماتيزم والحصا[2].

- **ابن عزوز المراكشي:** من الأطباء الذين أتقنوا الطب وألفوا فيه ومن بين مؤلفاته نذكر:

"ذهاب الكسوف ونفي الظلمات في علم الطب والطابيع"، تناول فيه الطب النفسي الروحاني، والطب التجريبي[3].

[1]- عثمان بوحجرة: مرجع سابق، ص-ص: 26، 27.

[2]- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص: 194.

[3]- ذهيبة بوشيبة: مرجع سابق، ص: 133.

- **سعيد بن أحمد المقري:** ولد بتلمسان سنة 928هـ، فقيه وعالم وطبيب، اشتهر بفن الطب والجراحة، أخذ العلم عن والده وعن عبد الواحد الونشريسي[1].

1-2/ الأطباء الأجانب:

الممارسة الطبية في الجزائر خلال العهد العثماني لم تقتصر على الأطباء المحليين فقط، بل نجد كذلك بعض الأطباء الأوروبيين الذين اختلفت جنسياتهم ومكانتهم الاجتماعية والعلمية، بالإضافة إلى الأسرى الذين حضوا بمكانة خاصة لدى الحكام واكتسبوا الاحترام والتقدير، ويمكن تصنيف الأطباء الأوروبيين بالجزائر إلى أربعة أصناف:

- الأطباء الأوروبيون الأسرى بالجزائر.
- الأطباء الأحرار الذين كانوا يدخلون في خدمة كبار المسؤولين بالجزائر.
- الأطباء الموظفون بالمؤسسات والشركات الأوروبية بالجزائر.
- الأطباء الرحالة الذين كانوا يزورون الجزائر لأغراض علمية.

أ-الأطباء الأوروبيين الأسرى بالجزائر:

- **مانويل موريللو:** قدم لإنقاذ المستعمرة الإسبانية بوهران سنة 1678م، استغل ثروته الخاصة لشراء الأدوية وتوزيعها على المرضى[2]، اعتقل من طرف الجزائريين، وتم نقله إلى الجزائر حيث بقي ثلاثة عشر عاما، ساهم في علاج الوباء الذي ضرب الجزائر، وقد وهبت له السلطات حريته اعترافا بإسهاماته[3].

---

[1]- نهلة سالمي: مرجع سابق، ص: 37.

[2]- مصطفى خياطي: **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشورات ANEP، د.ط، الجزائر، 2013، ص: 107.

[3]- بلقاسم قرباج: **الأسرى الأوروبيون بالجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: بوغفالة ودان، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015-2016، ص: 274.

– **أندرهيل:** وجد بالجزائر أواخر القرن الثامن عشر، وهو من الأرقاء و لم يمنعه أسره من ممارسة الطب وتقديم العلاج، فقد ساعدته مهارته الطبية على توفير بعض الدراهم لفداء نفسه، وذلك جراء معالجته لتاجر يهودي غني أعطاه أمولا طائلة لقاء علاجه[1].

– **سانسون:** طبيب هولندي، كان أسيرا لدى باي قسنطينة سنة 1125هـ/1713م، كان على اتصال مع العالم توماس شو عندما زار قسنطينة، حيث زوده بمعلومات حول الطب.

– **باسكال غاميزو:** طبيب إيطالي أسره الرايس محمد الإسلامي، اشتراه الباي صالح حاكم قسنطينة سنة 1125هـ/1781م، مقابل ألف محبوب، أي ما يعادل أربعة آلاف فرنك فرنسي[2].

ب–الأطباء الأحرار: تواجد بعض الأطباء الأوروبيين الأحرار بالجزائر، وكانوا في خدمة كبار المسؤولين مقابل مبالغ مالية طائلة، وهو ما أشار إليه القنصل الأمريكي بالجزائر كاثكارت حيث تحدث عن أحد هؤلاء الأطباء وهو:

–جان جي: هو طبيب مسيحي حر قريب لمونص جيمون، أحد كبار التجار الفرنسيين كان في خدمة الباي لمدة تسع سنوات وهو يتمتع بحظوة خاصة لدي الباي، حيث رافقه في ماي سنة 1788م إلى الجزائر لتسليم الدنوش[3] إلى الداي[4].

---

[1]– جون وولف: **الجزائر وأوروبا 1500–1830**، تر وتع: أبو القاسم سعدالله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر 2009، ص: 168.

[2]– بلقاسم قرباج: مرجع سابق، ص–ص: 274، 275.

[3]– **الدنوش:** كلمة تركية تعني العودة، وهي أحد أنواع الضرائب التي كان يدفعها البايات إلى دار السلطان وبالتالي تعتبر أحد أهم موارد الدولة، وعادة ما تتم هذه العملية كل ثلاث سنوات يأتي بها الباي بنفسه حيث تصبح حدثا اجتماعيا واقتصاديا هاما. ينظر: ياسين بودريعة: **الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786–1800) دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إش: فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر، 2016-2017، ص: 84.

[4]– كاثكارت: مصدر سابق، ص: 118.

ج-الأطباء الأوروبيون الموظفون في المؤسسات الأوروبية بالجزائر:

كان البعض من هؤلاء الأطباء تابعًا للمؤسسات السياسية كالقنصليات، والبعض منهم تابع للمؤسسات الاقتصادية كالباستيون والشركات التجارية، بحيث كانوا يقدمون خدمات طبية للمرضى في مناطق الامتيازات، فقد كان طبيب الباستيون يستدعى من طرف رؤساء القبائل المجاورة وبعض الشخصيات ووكلاء الموظفين بل من طرف الباي أيضا، بحيث وردت عدة رسائل بعث بها البايات وزعماء القبائل إلى مدير الباستيون يطلبون منه إرسال طبيب لمعالجتهم أو معالجة أبنائهم[1].

د-الأطباء الرحالة الذين كانوا يزورون الجزائر:

زار الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الكثير من الأطباء الأوروبيين الذين كلفوا بمهام علمية من بينهم:

- **هابنستيرايت:** رحالة وطبيب ألماني دخل الجزائر سنة 1733م، مكلفا من طرف ملك بولونيا لرئاسة بعثة علمية إلى شمال إفريقيا للتعرف عن كثب على نباتات وحيوانات تلك المنطقة، والعمل على جمع عينات منها لفائدة القصر الملكي، وقد حظي بتقدير كونه يمتهن حرفة الطب والتداوي بالأعشاب، حاول هابنسترايت التقرب من رجال الدولة والعمل على نيل رضاهم من خلال وصف بعض الأدوية خاصة للأغا وهو ابن الداي، وكمكافئة لمجهوداته قدم له هدايا تتمثل في لبؤة وقنفذين صغيرين[2].

2-المشعوذون: رغم تحريم السحر والشعوذة وفقا للقرآن الكريم:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[البقرة:102]، والسنة النبوية لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –"من أتى كاهنا وصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد"[3]، إلا أنه كان شائعا في الجزائر خاصة في

---

[1]- فوزية لزغم: الأطباء...، مرجع سابق، ص: 241.

[2]- هابنسترايت: مصدرسابق، ص،ص: 14-23.

[3]- الصادق بن الحاج التوم بن محمد: **الإيضاح المبين لكشف حيل السحرة والمشعوذين**، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط4، الرياض –المملكة العربية السعودية، 1432هـ -2011م، ص: 82.

الأوساط الريفية، فقد اختلطت الخرافة بالطب في بعض الأحيان، فمن بين المعتقدات التي كانوا يومنون بها الشرب من بئر معينة، فقد انتشر السحر بشكل كبير لعلاج بعض الأمراض المعدية وأمراض الكلب وبعض الأوبئة، بحيث استخدموا الطلاسم[1]، والتعاويذ[2]، والأوراق المكتوبة عليها آيات من القرآن الكريم تعلق على صدورهم ظنا منهم أنها تحميهم من لعنة المرض[3]، بالإضافة إلى التمائم[4]، بالرغم من تحريم الدين الإسلامي لها، وكان الناس يؤمنون بالسحر والسحرة في وقت تفشي الأوبئة الطويلة الأمد حيث يلجؤون إلى الاحتفالات الخرافية مثل التضحية بالديك أو الشاة كما يقومون في بعض الأحيان بدفن الجثة وشرب الدم أو يحرقون الجلود و الصوف أو الشعر، كما أنهم مقتنعون بفعالية التمائم التي يطبقونها على كل شيء لغرض دفع البلاء[5].

وكان بعض الناس يلجؤون إلى الكهنة والمشعوذين لاستخراج الجن من المريض الذين كانوا يتظاهرون بتلاوة القرآن الكريم والحديث للتلبيس فقط، ومن بين بعض المعتقدات السائدة بالأرياف الجزائرية تردد بعض الأمهات بأطفالهم على بعض العيون التي يعتقدن أن مياهها تشفي كل الأمراض، ومن أشهر تلك العيون الواقعة في منطقة القبائل "عين الدواء" الواقعة بعرش بني إيراثن[6].

---

[1]– **الطلاسم:** هي الخطوط المجهولة المعاني، وفي معناها كل اسم أعجمي جهل معناه، كانت هي الأخرى شائعة للتداوي من الأمراض والعين، وهي أمر مبتدع لا علاقة له لا بالقرآن ولا بالسنة. ينظر: فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص: 219.

[2]– **التعاويذ:** وهي حروف تعلق على الصبيان وغيرهم للاستعاذة بالله، وقد كانت عادة شائعة بالجزائر. ينظر: فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص: 219.

[3]– قمر بن الزين: مرجع سابق، ص–ص: 62، 63.

[4]– **التمائم:** جمع تميمة، وقد اختلف في معناها، فهناك من يعرفها على أنها خرزة رقطاء تنظم في السير ثم تعقد في العنق والعضد، وقيل على أنها قلادة يجعل فيها سيور وعوذ لدفع الآفات عنه. ينظر: فهد بن ضويان: المرجع السابق، ص: 209.

[5]– طوماس شو: **رحلة إلى إيالة الجزائر**، تر وتع: لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والإشهار، ط1، برج بوعريريج – الجزائر، 2022م، ص: 83.

[6]– قمر بن الزين: مرجع سابق، ص: 63.

ثانيا/ الصيدلة والتداوي بالأعشاب:

تزخر الجزائر بتراث استشفائي غني ومتنوع سواء ما تعلق منه بالتداوي بالأعشاب أو الممارسات العلاجية الشعبية الأخرى كالحجامة والكي، والتي أثبتت فاعليتها في احتواء وعلاج حالات مرضية عدة منها ماهي عضوية ومنها ماهي نفسية[1].

1-الصيدليات: تكاد تكون منعدمة إذ لم يذكر سوى صيدلية واحدة بمدينة الجزائر تحوي مجموعة من القناني والكؤوس المحتوية على العقاقير والتوابل وكان يشرف عليها "باشا الجراح"[2]، الذي كان يشتغل في ثلاث وظائف في آن واحد، صيدلي وجراح وطبيب، بالإضافة إلى بعض الحوانيت التي كانت تبيع أنواعًا من الأدوية المستخرجة من النباتات أهمها الصبر والحلبة والقرنفل[3].

2-التداوي بالأعشاب: أثبتت الدراسات الحديثة أنه يوجد بالجزائر مالا يقل عن 3500 نوع من النباتات التي تنمو في المناخ الحار وأخرى في المناخ المعتدل، وهناك ما لا يقل عن 500 عشبة متداولة بين السكان في الطبابة، ومنها 100 عشبة تباع عند العشابين خصوصا في الأسواق الأسبوعية بالأرياف، وفي المدن تباع في الدكاكين[4]، كما اشتهر سكان السهول بالتداوي بالأعشاب وهذا ما بينه حمدان خوجة في طريقة علاجهم في قوله: "عبارة عن نباتات معروفة بنجاعتها"[5]، وعن أهمية التطبيب بالأعشاب عند سكان الأرياف يقول هابنسترايت: "وقد لاحظت أن حمل باقة من النباتات في اليد هو بمثابة جواز مرور معروف ووسيلة ممتازة لضمان السلامة، لأن من يذهب للبحث عن النباتات ينظر إليه هناك بأنه متطببٌ ومداوٍ بالأعشاب"[6].

وقد اعتمد سكان الأرياف في المداواة على طب الأعشاب سواء للأمراض الباطنية أو الجروح، فقد كانت لديهم تجارب ناجحة في هذا المجال باستثناء الأوبئة المعدية كالتيفوس فإنهم لا يملكون

---

[1]- نجاة ناصر: **الطب الشعبي في المجتمع الجزائري**، أنثروبولوجيا الثقافة والاجتماع، المحور الثاني، جامعة تلمسان، ص: 211.

[2]- **باشا جراح:** وهو رئيس الأطباء. ينظر: بلبراوات بن عتو: مرجع سابق، ص: 761.

[3]- عائشة غطاس: الوضع الصحي...، مرجع سابق، ص: 128.

[4]- عبد القادر حليمي: **النباتات الطبية في الجزائر**، وزارة الفلاحة والصيد البحري، د.ط، الجزائر، يوليو 1997، ص: 03.

[5]- حمدان خوجة: المرآة، مصدر سابق، ص: 36.

[6]- هابنسترايت: مصدر سابق، ص: 56.

علاجها، ومن بين الأعشاب الشائعة عندهم المرهم الذي يصنعونه من عصارة شجر الصنوبر والقطران، والبصل وزيت الزيتون والرماد والعرعار والزعتر والعسل والكمون وعروق الطيب وورق نبات تابسلغة الشديدة المرارة ونبات أما قرمان والرتمة وغيرها[1]، فلعلاج الحمى استخدم السكان نبات الشندقورة ونحوه، ولعلاج الجروح صب الزبدة الساخنة، كما كانت الحناء وسيلة لعلاج الحروق وبعض الجروح البسيطة، ويتغلبون على لدغة العقرب والأفعى بوضع البصل والثوم على مكان اللدغة، بالإضافة إلى العسل الذي نجده يعالج عدة أمراض[2]، ولعلاج الرمد كان يتم استخدام الدواء الذي يحضر بخلط الحضض باللبن وتطلى به الأجفان وتغسل العينان بماء يطبخ فيه السادروج، ويعصب عليها ورق الهذب مدقوقا ومعجونا ببياض البيض وورق الفجل ودهن الورق ليصير مرهما[3].

جدول يبين أهم الأعشاب التي كان يعتمد عليها المجتمع الريفي لعلاج مختلف الأمراض وكيفية استعمالها:

اسم العشبة بالعربية والأجنبية		دواعي استخدامها
حب الرشاد	Cressonnette	يقاوم الصداع وضيق التنفس، ومدر للحليب وللطمث وللبول، يساعد على علاج الاضطرابات الحاصلة في المسالك البولية.
عود قماري	Agalloche	منشط للقلب والمخ، مخلص للأمعاء من الريح، ومن الديدان المعوية، يستخدم لإزالة الروائح الكريهة، وينسب إلى جنوب الهند.
الثوم	Ail cultive	طارد للديدان، ملين للبطن، له تأثيرات إيجابية في حالة التهاب القصبات الهوائية وعند الإصابة للبرد، كما يستخدم لعلاج لدغة العقرب وداء الكلب.

[1]- يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص: 182.

[2]- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 418.

[3]- جمال بوطي: "وباء الطاعون الأسود وانعكاساته على المجتمع الجزائري خلال القرنين 14-15م"، **مجلة آفاق فكرية**، ج9، ع2 خاص، 2021، ص: 224.

الحديدة	Sulfate de cuivre	تقطر في العين وتستخدم من قبل السكان في صبغ الشعر واللحى
النشا	Amidon	نافع لعلاج الزكام وقرحة العيون
حبة الحلاوة	Anis	مدر للحليب، مسيل للعرق، يساعد استنشاق بخاره على التخلص من الصداع والدوخة.
الخرشف	Artichot	يسمى أيضا بالقرنون والنوع البري منه يحضره سكان الأرياف لبيعه في الأسواق فيعرف بالقرنينة.
الحنتيت	Foetida	نافع لأمراض الأعصاب والتشنجات، وحتى الشلل والإصابة بالصرع، يقاوم الحمى، ويستخدم عند لدغة العقرب أو عضة الكلب المصاب بداء الكلب.
الجاوي	Benjoin	ملائم لعلاج أمراض المعدة، خفقان القلب، منشط لعمل الدماغ عند استخدامه مع العسل، يساعد عل تفتيت الحصيات داخل المثانة.
القرفة	Cannelle	موقف للتريف، مزيل للروائح الكريهة، إذا استخدم مع الماء أمكنه التخفيف من حدة مرض البواسير.

المرجع: كمال بن صحراوي: **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري**، ص-ص: 238، 239.

وكانت معالجة الكسور تتم بثلاث طرق، الأولى تجبر فيها الكسور بضمادة خاصة، والثانية ببتر الرجل، والطريقة الثالثة بكي الكسر بالحديد الساخن[1]. (ينظرالملحق7).

ومن طرق العلاج أيضا نجد الكي الذي يعد أحد أشكال التداوي الشعبي بين الأهالي بحيث يلجؤون إليه لعلاج عدة أمراض أهمها داء المفاصل، وعرق النسا، وإيقاف التريف الدموي[2]، وتجدر الإشارة إلى العلاج بالحجامة والتي كان يعتقد بفاعليتها خصوصا في الشرق الجزائري بمنطقة القالة[3]،

[1]- يمينة مجاهد: مرجع سابق، ص: 30.

[2]- نجاة ناصر: مرجع سابق، ص: 211.

[3]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص: 99.

استنادا لقول النبي –صلى الله عليه وسلم– «الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَ شَرْبَةُ عَسَلٍ، وَشَرْطَةُ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةُ نَارٍ»[1].

كما يتم العلاج بالمياه المعدنية حيث كان الناس يذهبون للحمامات التي تعتبر مراكز علاج حقيقية لعلاج الكثير من الأمراض الجلدية مثل الجذري، ومن بين المناطق التي اشتهرت بحماماتها المعدنية نجد مدينة قسنطينة التي كان يقصدها السكان للاستنقاع من بخارها[2]، وأما شالر فيذكر بأن الحمامات يكثر الوفود إليها خاصة في فصل الربيع للعلاج من الروماتيزم وبعض الأمراض المزمنة، وقد وصف حمام ريغة ومياهه المعدنية بقوله: "...يمتد على 12 قدما مربع، ويبلغ عمقه أربعة أقدام، ولمياهه درجة من الحرارة محتملة "[3].

إضافة إلى الطب الشعبي لجأ الناس لعلاج آخر وهو الرقية الشرعية والطب النبوي بحكم الثقافة الدينية الشائعة في الجزائر، فقد كانت قراءة القرآن الكريم عادة منتشرة عند حلول المرض وذلك لامتثال قوله تعالى:﴿ وَ نُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: 82].

وقد ثبت عن الرسول –صلى الله عليه وسلم–أنه كان يرقي نفسه بالمعوذات، وثبت أنه كان يقرأ على أصحابه إذا مرضوا[4]، ومن بين الرقى نجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يعود بعض أهله، ويمسح عليه بيده اليمنى ويقول: "اللهم رب الناس، اذهب الباس واشفي أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما"[5]، والجدير بالذكر أن الرقية الشرعية لم يقتصر استخدامها على الناس البسطاء فقط وإنما كانت شائعة لدى معظم السكان. ومثال ذلك عندما بعث الداي

---

[1]– البخاري: مصدر سابق، باب الشفاء في ثلاث، ص: 2563.

[2]– خضرة سليماني وعفاف عبد الحاكم: **جوانب من الحياة الاجتماعية بمدينة قسنطينة (1671–1830)**، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، إش: ربيعة قريزة، جامعة غرداية، 1439–1440هـ/ 2018–2019، ص: 61.

[3]– وليم شالر: مصدر سابق، ص–ص: 31، 32.

[4]– الصادق بن الحاج: مرجع سابق، ص: 152.

[5]– ابن قيم الجوزية: **الطب النبوي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، د.ت.ن، ص: 146.

حسن ابن موسى إلى الداي الحسين راقيا كان قد أمره ببعثه إليه ثم كتب إليه "[1]، ويصلكم صحبة الخامل الطالب الذي أمرتمونا ببعثه ليرقى إنسان مريضا جعل الله دوائه على يده والكشف عن ضره كما كشف عن أيوب عبده وقد اخترناه لمعرفته بتلك الأمور وديانته وإن البركة تلازم لأهل الدين والتقى، فذلك تقضى بهم الحوائج دعاء ورقى..."[2].

ثالثا/ العلاج ببركة الأولياء الصالحين وكرامتهم:

من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية، وكثرة الزوايا والأضرحة التي كانت تحمل أسماء الأولياء الصالحين كالقادرية والشاذلية وغيرها، وهو ما جعل السكان سواء في الأرياف أو المدن يتبركون بهذه الأضرحة لاعتقادهم أن لها القدرة على قضاء مصالحهم وشفاء مرضاهم، وقد كانت تقدم لهم الهدايا والقرابين مما جعل هذه الظاهرة تحتل مكانة كبيرة بين الناس، وكان يطلق على الأولياء مصطلح المرابطين، وهي كلمة مشتقة من الرباط وهو الحصن الذي يلازمه المجاهدون للدفاع عن بلادهم في عهد الدولة المرابطية التي تأسست على أساس ديني[3].

وقد كان المرضى يقصدون الأضرحة والقباب للتبرك بالأولياء الصالحين بعد أن يأسوا من علاج الأطباء، وكانت تتم هذه الزيارة بأمر من الطالب أو من أولياء المريض شريطة أن يعتقد المريض ببركة ذلك الولي في علاجه، وكانت هذه الأضرحة متخصصة في علاج الأمراض الروحانية وذلك بجلب المريض إلى الزاوية عند ضريح المرابط الصالح الذي يؤثر على الجن، والجسدية كعلاج الصداع النصفي ومثال ذلك زيارة ضريح سيدي بوراس بتلمسان، كما تتم زيارة الأضرحة لعلاج العقم كزيارة ضريحي سيدي محمد أو معمر، وسيدي محمد أمقران بمنطقة بجاية[4].

---

[1]- كمال بن صحراوي: مرجع سابق، ص: 183.

[2]- بن عودة المزاري: مصدر سابق، ص: 368.

[3]- نصيرة قشيوش ونعيمة رحماني: **عادات زيارة الأضرحة والأولياء**، جامعة تلمسان، ص: 01.

[4]- صليحة علامة: مرجع سابق، ص: 711.

كما كان العلاج بالدعاء كان حاضراً بقوة لدى الأولياء الصالحين لما له من مميزات أبرزها البساطة حيث أن الدعاء يرتكز عن الكلام فقط ولا يتطلب من الأولياء جهدا كبيرا لممارسته، كما عرف الأولياء بسرعة الاستجابة لتلك الدعوة وذلك لتقواهم وورعهم، وقد أصبح أغلب الناس يلتجئون للأولياء عند تدهور أحوالهم الصحية لاستمداد الدعاء في الشفاء من المرض[1].

[1]– عبد الرزاق خضور: "التشافي بدعاء الأولياء في المغربين الأدنى والأقصى خلال العصر الوسيط " الدواعي والأنماط""، **مجلة الإحياء**، م21، ع28، جانفي2021، ص: 854.

المبحث الثالث: انعكاس الوضع الصحي على الجوانب العامة للريف الجزائري

تعرضت الجزائر طيلة الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر لجملة من الأوبئة والأمراض التي كان لها تأثير سلبي على مختلف الأصعدة الحيوية بما فيها الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي بحيث أن هذه الأوبئة والأمراض تكاثرت بشكل يشد الانتباه، ومنه نتساءل:

- ما الانعكاسات الناجمة عن الأوبئة والأمراض في شتى المجالات؟

أولا/ انعكاس الأوبئة والأمراض على الأنشطة الاقتصادية:

كان للأزمات الصحية أثر بارز على الأنشطة الاقتصادية وذلك من خلال تقلص النشاط الحرفي والصناعي، وكذا تراجع إن لم نقل انقراض الكثير من المهن والحرف، بالإضافة إلى هجرة الناس لأراضيهم والتخلي عن الأنشطة الفلاحية هروبا من الأوبئة الفتاكة المنتشرة، وهو ما أدى إلى تدهور القطاع الزراعي[1].

فقد تأثر الإنتاج الفلاحي سلبا بالكوارث الطبيعية التي عانت منها الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وفي مقدمتها الأوبئة الخطيرة التي اجتاحت البلاد في هذه الفترة مثل وباء عام 1702م، الذي تسبب في مجاعة كبيرة نتجت عن قلة الإنتاج الزراعي بحيث أهملت الزراعة وأصبحت هناك أراضي واسعة غير مستغلة للزراعة، كما خلف وباء عام 1718م آثارًا اقتصادية تمثلت في عدم قدرة السكان على شراء أبسط متطلبات الحياة نظرا لارتفاع الأسعار ثلاثة أضعاف وأصبح من الصعب على الناس اقتناء الخبز الذي يعتبر المادة الأساسية في الغذاء[2]، فقد تأثرت الزراعة بالوضع الصحي المتردي لأن الأمراض التي عانى منها سكان الريف مثل التيفوس والجذري والطاعون تسببت في إضعافها، وأدت في بعض الأحيان إلى إقفار جهات زراعية خصبة من سكانها[3].

---

[1]- محمد الصديق بولغيث: مرجع سابق، ص-ص: 372، 373.

[2]- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، ص: 269.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، د.م.ن، د.ت.ن، ص: 368.

وقد أثرت الأوبئة على الثروة الحيوانية وكان لها عواقب وخيمة، فقد تسببت في هلاك أعداد كبيرة من القطعان[1]، أما فيما يخص الجانب الصناعي، فقد عانى أيضا من الكوارث الطبيعية وعلى رأسها الأوبئة، التي مست القوى المنتجة للبلاد، فكان لانتشارها وانتقال العدوى أثر بالغ في سوء وتردي الأحوال الصحية، ما نتج عنه ندرة الصناع والحرفيين حيث تسبب الوباء في خسائر بشرية جد كبيرة، إذ توفي الكثير من أرباب الصنائع، وهو ما أثر على بعض الأنشطة الصناعية كصناعة الحرير والنسيج وغيرها، وبهذا انخفضت الصادرات، وبالضرورة يتأثر النشاط التجاري[2].

كما تأثرت التجارة هي الأخرى بالأحوال الصحية المتردية، فقد شهدت الحركة التجارية بين الجزائر وباقي موانئ البحر الأبيض المتوسط ركودا، حيث كانت الموانئ مغلقة أمام السفن التجارية الجزائرية خوفا من انتقال العدوى، وهو ما أدى إلى عجز تجاري كان له صدى سلبي على اقتصاد البلاد، كما فرضت دول الجوار حجرا صحيا على كل البضائع التي تأتيها من الجزائر الأمر الذي عرقل الحركة التجارية للبلاد[3].

ثانيا/ انعكاس الأوبئة والأمراض على الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

كان للأمراض والأوبئة انعكاسات خطيرة وسلبية على الجوانب الاجتماعية، فقد أدت إلى تناقص عدد السكان في الأرياف والمدن، كما تسببت في تحولات جذرية في نمط عيش بعض السكان فاندثرت وانقرضت العديد من الأسر بأكملها[4].

وقد أثرت الأوبئة المتكررة على التركيبة السكانية للجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر خاصة وباء الطاعون الذي كان له الأثر البليغ في حدوث أزمات ديموغرافية التي أدت بدورها إلى خسائر بشرية فادحة راح ضحيتها الآلاف بل وعشرات الآلاف من الأشخاص[5]، كما تسببت في هجرة السكان لأراضيهم خوفا من انتقال العدوى من الأماكن الموبوءة، فقد ترك اليهود المدن

---

[1]- سامية شنيني: مرجع سابق، ص: 59.

[2]- حفصة بوباشة وزهرة عقبى: مرجع سابق، ص-ص: 58، 59.

[3]- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، ص: 300.

[4]- حميد آيت حبوش: مرجع سابق، ص: 155.

[5]- أمين محرز: مرجع سابق، ص: 169.

متجهين إلى البوادي، وفر البساكرة من مدينة الجزائر إلى بسكرة ناقلين العدوى معهم إلى مناطق عديدة في الصحراء[1].

ومنه نستنتج بأن الهروب من الواقع المعاش ليس حلا لتفادي الأزمة بل بالعكس يزيد من حدتها بحيث ينتقل الوباء من منطقة لأخرى.

فقد عرفت الإيالة تدهورا كبيرا في الجانب الصحي والمعيشي وهو ما أثر سلبا على الوضع الديمغرافي حيث تناقص عدد السكان خاصة فئة الأطفال والشيوخ، وانتشر الفقر وإثر هذا هاجر عدد هائل من سكان المدن نحو المناطق الداخلية، وكل هذا بسبب الأمراض وانتقال العدوى من الدول التي كانت تتعامل معها الجزائر كالدول الأوروبية وبلاد المشرق وكذا السودان الغربي[2].

كما طرح الوباء مشكلة الإرث على مستوى الأرياف، واضطرت بعض القرى في منطقة القبائل إلى إعادة النظر في قوانينها العرفية، وخاصة تلك المتعلقة بقضية الميراث، فقد اجتمع سكان أحد القرى على ما يلي: إذا توفي رجل ولم يترك إلا البنات، والأخوات والأم والزوجة، فكلهن يستفدن من ثلث تركة المرحوم، شريطة أن تبقى أرملته في بيت الزوجية، وتقوم النساء بتسيير تركتهن كما يشأن، أما إذا قدر لإحدى النساء المذكورات الزواج وارتحلت عن القرية، فلا يسمح لها بأن تأخذ شيئا من التركة إلى بيت زوجها[3].

نتج عن كثرة الأمراض والأوبئة في الجزائر استفحال ظاهرة اللصوصية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، ومثال ذلك قبيلة عشاش القاطنة في أقصى بايلك الغرب الجزائري حيث عاثت في الأرض فسادا وذلك بقطع الطريق على الأهالي وهو ما أدى إلى تدخل الباي بحيث قام بإرسال

---

[1]- حفصة بوباشة والزهرة عقبي: مرجع سابق، ص-ص: 55، 56.

[2]- هدى حمودي وحيزية مصباحي: مرجع سابق، ص: 44.

[3]- حميد آيت حبوش: مرجع سابق، ص: 155.

حملة عسكرية على القبيلة فقامت بتفرقتها في أنحاء البلاد[1]، ونفس الأمر طبق على قبائل المهدية وأولاد علي بن طلحة والنمامشة والشائبة الذين أخذوا نفس المنحى[2].

أما بالنسبة لآثار الأوبئة على الجانب الثقافي فنجدها أدت إلى تراجع المكانة العلمية للعلم والعلماء، بحيث تسببت الأوبئة والأمراض في هلاك أعداد كبيرة من علماء الجزائر، وفي العهد العثماني تحمل لنا مؤلفات ابن مريم والفكون العديد من أسماء العلماء الذين هلكوا بالطاعون نذكر منهم على سبيل المثال أبو محمد بركات المسبح القسنطيني الذي توفي بالطاعون عام 1574م والفقيه عبد الله بن محمود بن عمر التنبكتي الذي توفي بالطاعون أيضا عام 1597م، وبسبب الوباء أيضا توفي العالم الجليل سيدي عبد اللطيف بن عبد الكريم بن بركات بن سعيد عام 1621م، وفي طاعون 1647م توفي العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[3].

ففي بايلك الغرب مثلا فقدت المنطقة الكثير من الشخصيات العلمية والدينية أمثال الشيخ عبد القادر السنوسي بن دحو بن زرفة، وأخيه الشيخ الهاشم، والفقيه مصطفى بن عبد الله صاحب مؤلف "الرسالة القمرية"، ونتيجة هذا الكم الهائل من وفيات العلماء أثر سلبا على الإنتاج الفكري والأدبي وكذا تقلص النشاط الثقافي[4]، أما بالنسبة لبايلك الشرق فقد خسر هو الآخر العديد من خيرة العلماء الذين قدموا الكثير للبلاد وعلى رأسهم عبد الكريم الفكون[5]، كما يوجد جانب ايجابي نوعا ما لهذه الكارثة حيث نجد أن التدوين تضاعف حول الوباء الفتاك فقد أفرد بعض العلماء والفقهاء الجزائريين مؤلفات خاصة به.

---

[1]- الكاملة فرحات: "وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج6، ع2، أكتوبر2022، ص: 1518.

[2]- سعاد آل سيد الشيخ: الأوضاع الصحية...، مرجع سابق، ص: 104.

[3]- عبد القادر قندوز: الوضع الصحي...، مرجع سابق، ص: 274.

[4]- محمد الصديق بولغيث: مرجع سابق، ص: 372.

[5]- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، قسنطينة، 2011، ص: 50.

وقد ركز هؤلاء العلماء على وباء الطاعون بالدرجة الأولى نظرا لانتشاره الواسع في تلك الفترة، ولارتباطه بالمعتقد الديني لديهم[1]، ومن الذين ألفوا في الوباء نجد:

- محمد بن رجب الجزائري صاحب الرسالة "الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون"، فهي عبارة عن جمع وتلخيص لأقوال الحكماء السابقين حول الطاعون، واستقى المعلومات من كتب عديدة في الطب مثل: قانون بن سينا، وتذكرة الأنطاكي، ومفردات ابن البيطار حول الوباء والطاعون.

- محمد بن علي بن باديس الصنهاجي الذي ألف كتابا في الأدوية ومنافعها سماه "المنافع البينة وما يصلح بالأربعة أزمنة"، اعتمد فيه على كتب الأقدمين في الأدوية كالرقى والخواتم ووقوع المرض في الشهور العجمية ومعرفة النبض والبول، وقد جمع فيه ما اختصره من كتب الطب والأحاديث المسندة، ومن المصادر التي اعتمد عليها في كتابه الرازي والطبري وابن زكريا والمنصوري وحنين بن إسحاق وغيرهم[2].

- ابن مريم صاحب المؤلف "فتح الجليل في أدوية العليل".

- عثمان بن حمدان خوجة "إتحاف المنصفين في الأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء".

- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري "الجوهر المكنون في بحر القانون"[3].

- أحمد بن قاسم البوني "إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة"، فهو من أبرز من ألف في الطب بعد ابن حمادوش وجمع بين الطب والروحانيات وله عدة مؤلفات في مجال الطب، اعتمد على مصادر الطب العربي ومن بين الذين اعتمد عليهم نذكر الشيخ الأجهوري، أبي الجوزي، الحريري وابن سينا[4].

---

[1]- سفيان فلاح وحمدادو بن عمر: مرجع سابق، ص: 795.

[2]- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص-ص: 423، 424.

[3]- سفيان فلاح وحمدادو بن عمر: مرجع سابق، ص: 794.

[4]- زينب أحلف: "الطب الشعبي في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط "إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة""، **مجلة رفوف**، مج10، ع2، جويلية2022، ص: 50.

ثالثا/ انعكاس الأوبئة والأمراض على الجانب العسكري:

نتج عن كثرة الأمراض والأوبئة في الجزائر وفاة العديد من الجنود إثر الأزمات الصحية وأصبحت الثكنات خالية بعدما كانت تكتظ بالجنود، ولهذا عمل الدايات على تجنيد فرق جديدة من جنود الإنكشارية بعد كل وباء، كما تم توقيف العديد من الحملات العسكرية بسبب الأزمات ومثال ذلك توقيف الحملة الدفاعية العسكرية التي كانت مستهدفة لحماية وهران في عهد يوسف بن مصطفى بوشلاغم[1].

وبناء على ما سبق توصلنا للاستنتاجات التالية:

- كانت الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تفتقر لأبسط القواعد الصحية وأماكن العلاج، فالمستشفيات كانت شبه منعدمة إلا البعض منها وكان مخصص للأسرى المسيحيين، أما السكان فكانت الزوايا هي من تتولى علاجهم.

- امتلكت الجزائر بعض الأطباء الأجانب الذين سهروا على صحة الحكام، فمنهم من كان أسيرا، ومنهم من جاء في رحلة بحثية، أما بالنسبة للأطباء الجزائريين فكانوا قلة قليلة.
- كان للسكان مساهمة في تردي الأوضاع الصحية بالريف الجزائري وذلك بسبب تجاهلهم بالقواعد الصحية، حيث اعتبروا هذه الأوبئة التي حلت بهم قضاء من الله وقدراً، ولجأ البعض منهم إلى التداوي بالأعشاب، وكذا التبرك بالأولياء الصالحين، ولجئوا أيضا للعلاج بالحجامة والكي.

- السلطة اعتمدت على بعض الإجراءات الوقائية كالحجر الصحي الذي لم يكن وسيلة وقائية معمولا بها عند جل الحكام بل وقف على اجتهادات البعض منهم مما أدى إلى تدهور الأوضاع الصحية.

- أثرت الأوبئة والأمراض بشكل كبير على الوضع الديمغرافي حيث خلفت خسائر بشرية فادحة، وهذا راجع لعدم تطبيق الإجراءات الاحترازية خاصة لدى سكان الأرياف.

[1]- خير الدين سعيدي: مرجع سابق، ص-ص: 288، 289.

– إن تدهور وتراجع الأوضاع الصحية أدى بدوره إلى تراجع الأنشطة الاقتصادية بمختلف مجالاتها بما فيها التجارة، الصناعة، والزراعة، هذه الأخيرة التي تأثرت بشكل كبير كونها تمثل العصب الحيوي لاقتصاد سكان الأرياف بالدرجة الأولى.

خـــــاتمة

من خلال هذه الدراسة التي قمنا بها حول الوضع الصحي بالريف الجزائري خلال القرنين 17 و18م توصلنا لجملة من الاستنتاجات والملاحظات التي تعكس الواقع الصحي آنذاك وهي:

- إن موضوع الريف والبادية أخذ حيزا كبيرا لدى المؤرخين في التحدث عنه والاهتمام به خاصة بعد أن تصدرت هذه الفئات الأغلبية في المجتمع، وقد تعددت المفاهيم حول الريف والبادية، حيث يقوم الأول على فلاحة الأرض وممارسة مختلف النشاطات، أما البادية فتقوم على الرعي والترحال والتنقل.

- عرف عن سكان الأرياف العيش في الجبال وفي السهول فميزتهم الحياة القبلية، وكان تعداد سكان الريف يفوق نسبة سكان المدن حيث مثلت نسبتهم 95 بالمئة من مجموع سكان الجزائر، أما فيما يخص علاقتها بالسلطة فنجدها تارة تتميز بالخضوع وأخرى بالرفض، وتم تصنيف هذه القبائل حسب علاقتها بالسلطة إلى قبائل المخزن وقبائل الرعية، القبائل المتحالفة، والقبائل الممتنعة.

- إن العلاقة بين الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية متداخلة بحيث أثرت كل واحدة منهما على الأخرى وتأثرت بها، فكل أزمة تأتي بعد الأخرى، فبالجراد تأتي المجاعة بحيث يلجأ الناس لأكل غير المألوف كالجيفة، والأكل المتعفن، وهو ما ينجر عليه ظهور الأوبئة والأمراض.

- يمكننا القول بأن الكثافة السكانية من أحد العوامل الأساسية التي تساهم في احتضان الأوبئة، وقد تضاف إليها بعض العوامل المساهمة في تفشيها، والتي منها العوامل الطبيعية كالمناخ والكوارث الطبيعية، وكذا العوامل البشرية كقلة النظافة، والغذاء البسيط، زد على ذلك اللباس حيث كان الناس يرتدون ألبسة الأشخاص المصابين بالداء لعدم توفرهم لأبسط متطلبات الحياة اليومية، وهو ما يؤدي إلى انتقال العدوى من شخص لآخر.

- يعتبر سكان الأرياف الأكثر ارتباطا بمعتقداتهم وتقاليدهم التي اكتسبوها من أهلهم، وهنا تكمن نظرية الإنسان وليد بيئته، فمثلا ارتباطهم ببعض المرابطين والأولياء الصالحين وكرامتهم، وكذا تشبثهم بالعرف الذي يحث بعدم ذهاب النساء للطبيب وهو ما يؤدي بهن للموت.

– انفتاح الجزائر على الخارج كالمشرق العربي وبلاد السودان وبعض مناطق أوروبا وكذا دول الجوار جعلها عرضة لمختلف الأوبئة الفتاكة، فأغلب الأوبئة انتقلت إليها عن طريق السفن التجارية أو عن طريق الحجيج، ومثال ذلك وباء 1762م الذي انتقل عن طريق الحجاج القادمين من الإسكندرية، بالإضافة إلى وباء 1730م الذي وصل إلى الجزائر عن طريق سفن قادمة من سوسة بتونس.

– عرفت أرياف الجزائر جملة من الأوبئة والأمراض التي أدت إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والصحية للسكان، وعلى وجه الخصوص وباء الطاعون الذي حصد العديد من الأرواح كالطاعون المسمى بالحبوبة الكبيرة الذي دام لمدة عشر سنوات من 1620م إلى غاية 1630م، والذي خلف خسائر بشرية كبيرة، وتلته مجاعة مروعة، كما تفشت أمراض عديدة مثل الحمى وأمراض العيون والأمراض الصدرية وغيرها التي فتكت بالعباد.

– إن الأوبئة والأمراض المنتشرة بالأرياف الجزائرية تعتبر ركنًا من أركان الحياة العامة في المجتمع، وهي شكل من أشكال البؤس الإنساني الذي تولد عن ظروف معيشية قاهرة.

– حدة الوباء كانت تختلف من منطقة إلى أخرى وذلك حسب التدابير الوقائية والاحترازية لكل منطقة، فهناك مناطق التزمت بالحجر الصحي وأخرى لم توله أي أهمية.

– شكلت الأوبئة والأمراض لسكان الأرياف في غالب الأحيان قدرا محتوما وإرادة إلهية لابد من الاستسلام لها، ونتيجة لهذا الوضع الصحي المتدهور تشكل لدى السكان نوعٌ من العلاج امتزج فيه الطب بالخرافة والسحر والشعوذة.

– نظرا لعدم وجود ثقافة صحية لدى أفراد المجتمع الريفي خاصة، كانت هناك نتائج وخيمة تحملها المجتمع ككل، فالناس كانوا يؤمنون بفكرة القضاء والقدر ولا يولون أي أهمية للعناية الصحية والطب.

– بعد استعراضنا للدراسة يمكننا أن نحمل السلطة الحاكمة خلال الفترة المدروسة مسؤولية الآثار الناجمة عن الأوبئة والأمراض، كون تعاملها معها لا يرقى لتفكير جماعة حاكمة بل كان تعاملا ساذجا، فمعظم الإجراءات المتخذة لم تطبق بشكل رسمي، وهذا طبعا باستثناء بعض الحكام الذين

سعوا جاهدين لحماية البلاد والعباد من خطر الوباء أمثال "صالح باي" في الشرق الجزائري الذي اعتمد إجراء الحزام الصحي حول مدينة عنابة سنة 1787م، و"محمد الباي الكبير" في الغرب الذي شجع على التأليف حول الطب وأطلق عليه طبيب الفقراء.

- إن تدهور وتراجع الأوضاع الصحية أثر بشكل كبير على الوضع الديمغرافي، وأدى بدوره إلى تراجع الأنشطة الاقتصادية بمختلف مجالاتها بما فيها التجارة، الصناعة، والزراعة، هذه الأخيرة التي تأثرت بشكل كبير كونها تمثل العصب الحيوي لاقتصاد سكان الأرياف بالدرجة الأولى.

وفي الأخير نأمل أن تأتي دراسات أخرى لتغطية بعض ثغرات هذا البحث، فنحن لا ندّعي الكمال فالكمال لله – سبحانه وتعالى–فإن وُفقنا فمن الله وإن سهونا فمن أنفسنا والشيطان، والحمد لله دائما وأبدا.

الملاحق

الملاحق1: **صورة للمجاعة في الجزائر**[1].

[1]- فريال بوخاري: الكوارث الطبيعية والأوبئة والمجاعات في الجزائر (1866-1868)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، إش: بوقادوم حمزة، 2022/2021، ص: 75.

الملحق2: **لباس الرجل الريفي القسنطيني**[1].

[1]– يوسف بن عمراني والعمري زيان: مرجع سابق، ص: 119.

الملحق3: صورة توضح حشرة البرغوث الناقلة للطاعون[1].

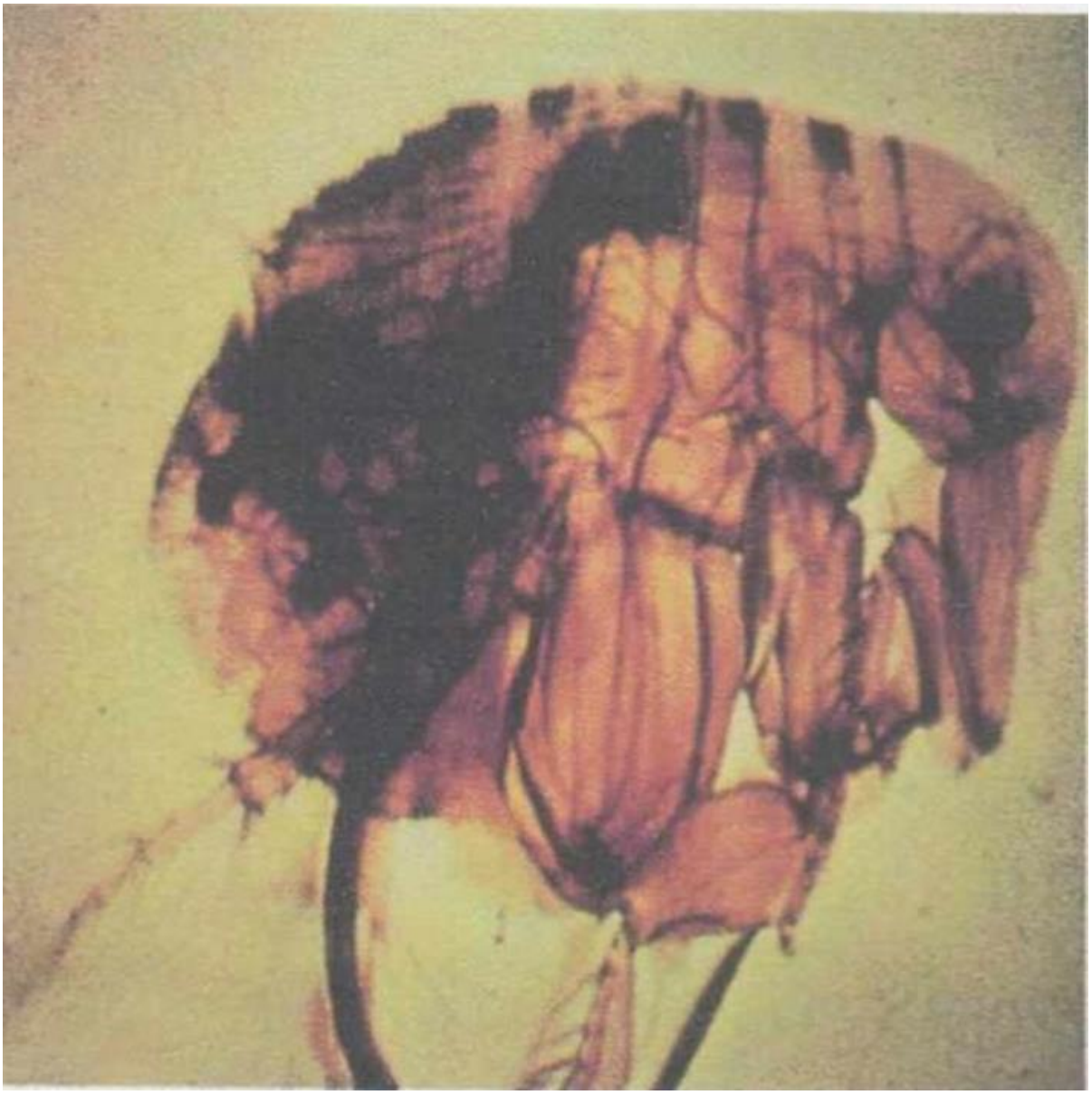

[1]– أحمد عبد الرزاق جبر: الطاعون الخطر القادم، جامعة المنصورة، 2009، ص: 08.

الملحق4: **خريطة انتقال العدوى من المشرق إلى الجزائر أثناء القرن 18م**[1].

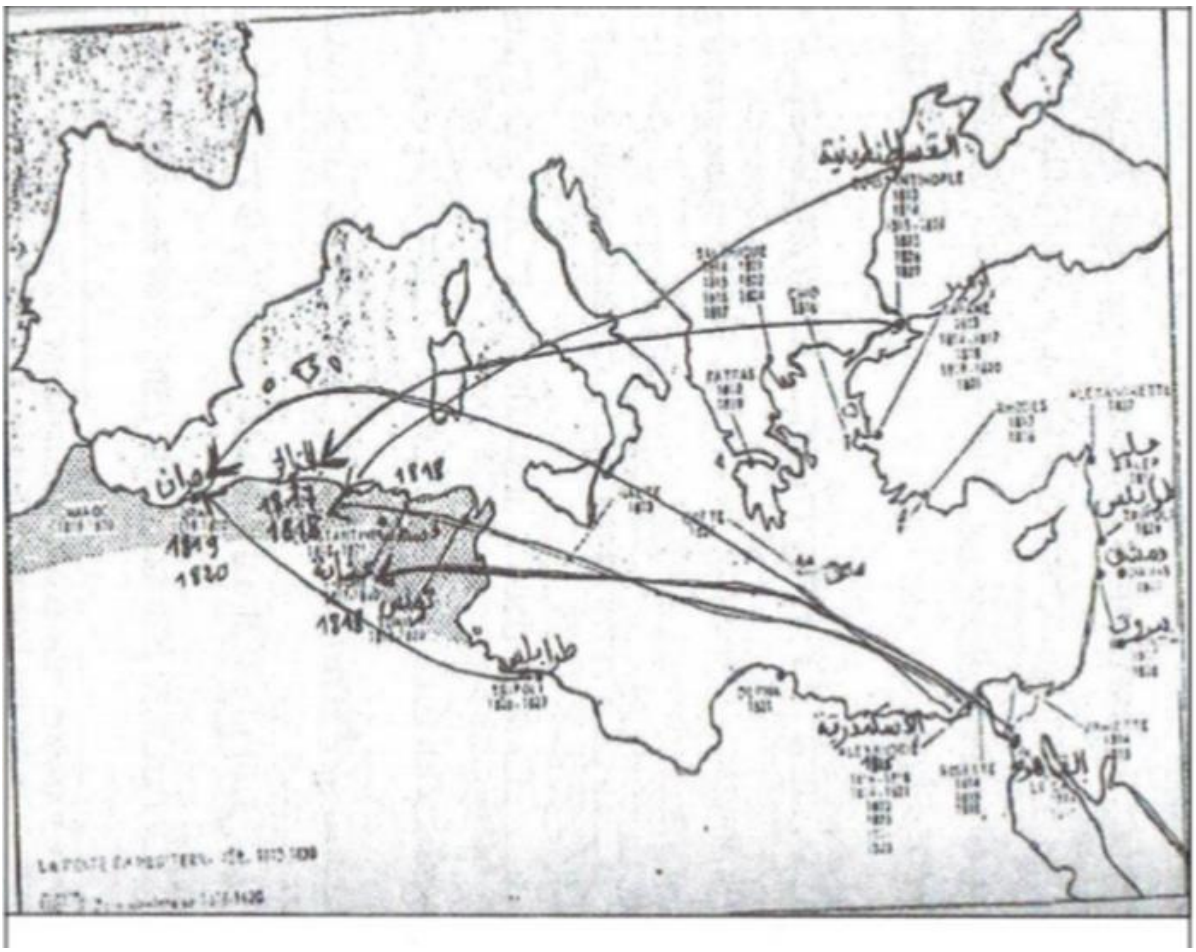

[1]– سمية العيد: مرجع سابق، ص: 85.

الملحق5: نسبة السنوات المطعونة في الجزائر العثمانية[1]

[1]– فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان في الجزائر...، مرجع سابق، ص: 114.

الملحق6: صورة توضح شكل الخراجات[1].

[1]- نفسه: ص: 70.

الملحق7: صورة أدوات تجبير الكسور[1].

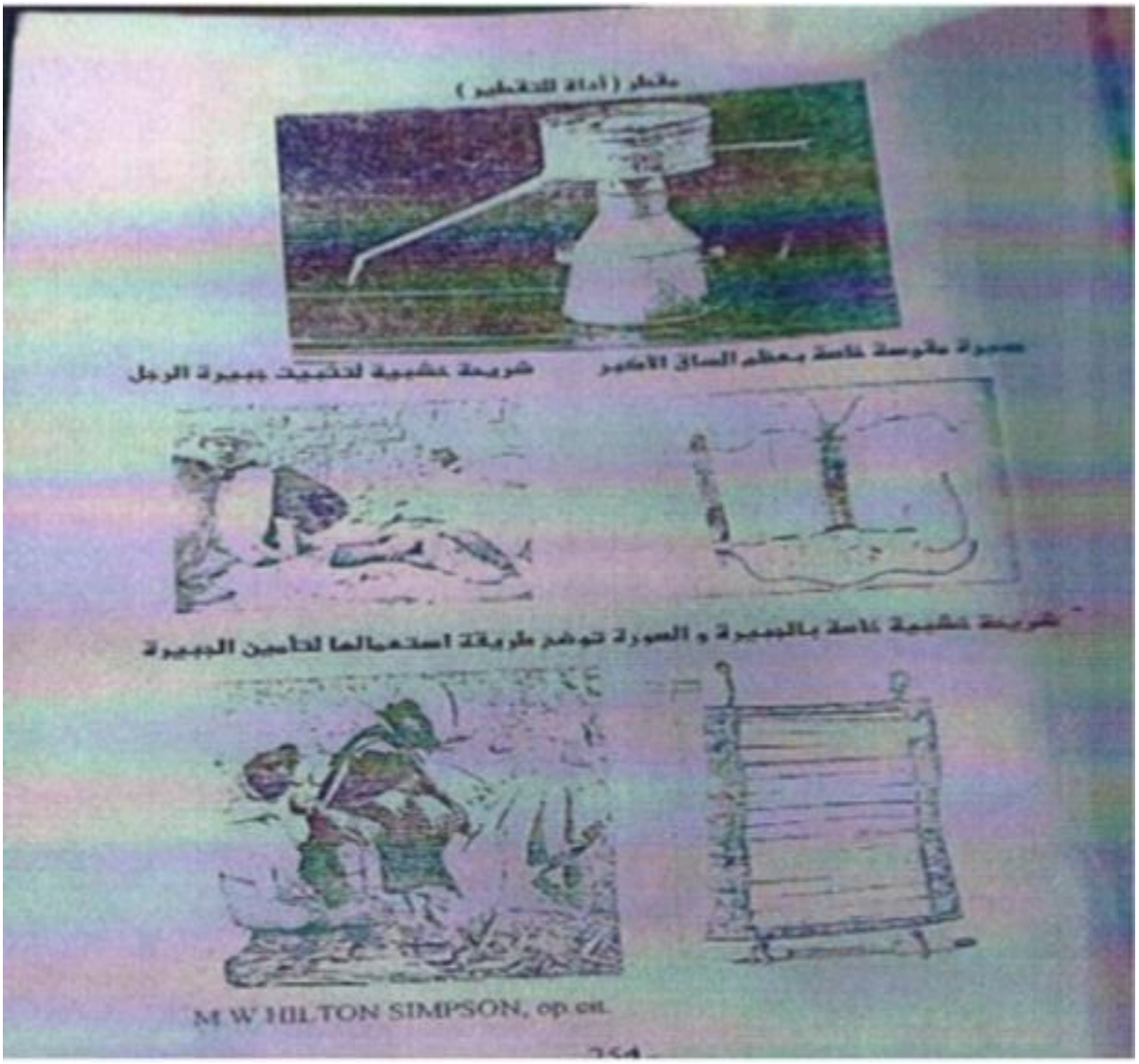

[1]– نهلة سالمي: مرجع سابق، ص: 79.

الملحق8: جدول يوضح أهم الأوبئة التي ظهرت في إيالة الجزائر **1702-1816**[1].

سنة الوباء	طريق انتقال الوباء	أهم نتائجه
1702م	/	تسبب في مجاعة مرعبة نتجت عن قلة الإنتاج الفلاحي
1720م	سفينة إنجليزية قادمة من المغرب	نتج عنه قلة الإنتاج وتخوف الشركات الفرنسية من وقف عميات التصدير
1740-1741م	قواف تجارية قادمة من المغرب	انتقال العدوى عن طريق البر
1752 إلى 1753م	أتى مع السفن القادمة من الدولة العثمانية	قرر باي بايلك الشرق منع القبائل من بيع القمح للباستيون
1787 إلى 1797م "الوباء الكبير"	/	منع تصدير القمح بقرار من الداي

[1]- صرهودة يوسفي: مرجع سابق، ص: 649.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر العربية:

1-الأغواطي الحاج ابن الدين: **مجموع رحلات**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2011.

2-الأنطاكي داوود عمر: **بغية المحتاج في المجرب من العلاج**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، بيروت -لبنان، 1415هـ / 1995م.

3-البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما يذكر في الطاعون، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، د.م.ن، 2016، مج1.

4-البغدادي أبي الحسن سعيد بن هبة الله: **المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض**، تح ودر وتع: محمد ياسر زكور، راجعه: عمر الفاروق محمد غصن، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية -جدة، 1432-2011.

5-التنلاني عبد الرحمان بن دريس: **رحلة عبد الرحمان بن دريس التنلاني التواتي الجزائري إلى الجزائر العاصمة**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر، 2011.

6-ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق: **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال "**، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1683.

7-ابن حجر العسقلاني: **بذل الماعون في ظل الطاعون**، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، د.ط، الرياض، د.ت.ن.

8-ابن خلدون عبد الرحمان: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.م.ن، د.ت.ن.

8-خوجة حمدان بن عثمان: إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء. منشورات ANEP، د.ط، الجزائر، د.ن.

9-خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، د.م.ن، 2005.

10-الدرعي ناصر: **الرحلة الناصرية (1709-1710)**، تح وتق: عبد الحفيظ الملوكي، ارتياد الآفاق، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، د.ط، د.م.ن، 2008-2009.

11-الزهار أحمد الشريف: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، (1168-1224هـ/ 1754-1830)**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974.

12-الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي بوعبدلي، اعتنلى به: عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.

13-ابن سينا: **القانون في الطب**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان،1420هـ / 1999م، ج1.

14-ابن سينا: **القانون في الطب**، مكتبة المثنى، د.ط، بغداد، د.ت.ن، ج2.

15-الشويهد عبد الله بن محمد: **قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ / 1695-1705م)**، تح وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2012.

16-طوماس شو: **رحلة إلى إيالة الجزائر**، تر وتع: لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والإشهار، ط1، برج بوعريريج – الجزائر، 2022م.

17-العنتري صالح: **مجاعات قسنطينة**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.م.ن، 1394هـ/1974م.

18-العنتري محمد صالح: **فريدة منسية في حال وصول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**، مر وتح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر، 2009.

19-العياشي عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح وتق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، دار الإمارات المتحدة، 2006، مج2.

20-أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح وتع: عبد الكريم الجيلالي، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع، د.ط، الرباط، 1412هـ/ 1991م.

21-ابن قيم الجوزية: **الطب النبوي**، تح: عبد الغني عبد الخلق وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، د.ت.ن.

22-المزاري بن عودة: **طلوع سعد السعود**، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.م.ن، د.ت.ن، ج1.

23-مسلم بن عبد القادر: **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.م.ن، 1397هـ -1974م.

24-الناصري محمد بن عبد السلام: الرحلة الناصرية الكبرى، در وتح: المهدي الغالي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، د.م.ن، 1434هـ/2013م، ج1.

ثانيا/ المصادر المعربة:

1-شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)**، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1982.

2-كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تع وتق: إسماعيل العربي، ديوان الطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، د.ت.ن.

3-كاربخال مارمول: **افريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، ط2، 1408-1409هـ/1988-1989م، الرباط.

4-هابنسترايت: **رحلة العالم هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ، 1732م)**، تر وتق وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، د.ط، تونس، د.ت.ن.

ثالثا/ المراجع العربية:

1-الأرقش دلندة وآخرون: **المغرب الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، د.ط، د.م.ن، 2003.

2-بالحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1981.

3-البزاز محمد الأمين: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18، المملكة المغربية، 1992.

4-بلبراوات بن عتو: **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2016، ج2.

5-الجمل شوقي عطا الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا -تونس-الجزائر-المغرب)** مكتبة الأنجلو المصرية ط1، 1977، القاهرة. جون وولف: **الجزائر وأوروبا 1500-1830**، تر وتع: أبو القاسم سعدالله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر 2009.

6-بن الحاج الصادق التوم بن محمد: **الإيضاح المبين لكشف حيل السحرة والمشعوذين**، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط4، الرياض -المملكة العربية السعودية، 1432هـ -2011م.

7-حسن محمد: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، جوان1999، ج1.

8-حليمي عبد القادر: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، ط1، الجزائر، 1972.

9-خياطي مصطفى: **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشوراتANEP، الجزائر، 2013.

10-الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر،1972.

11-السحيمي فهد بن ضويان بن عوض: **أحكام الرقى والتمائم**، أضواء السلف، ط1، الرياض، 1419هـ -1998م.

12-السرجاني راغب: **قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية**، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1430هـ/ 2009م.

13-سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1989، ج1.

14-سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر،1984.

15-سعيدوني ناصر الدين: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس -طرابلس الغرب) من القرن 10 إلى 14هـ / 16 إلى 19م**، قسم التاريخ، كلية الآداب، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية – الحولية الحادية والثلاثون – 1431هـ / 2010م، جامعة الكويت.

16-سعيدوني ناصر الدين: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، د.م.ن، د.ت.ن..

17-سعيدوني ناصرالدين: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، البصائر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 2012.

18-سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2 منقحة، دار البصائر، د.ط، الجزائر، 2008.

19-سنده عبد الله: **الطب المجرب والتداوي بالأعشاب من الأمراض الشائعة**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت -لبنان، 1428هـ / 2007م.

20-شويتام أرزقي: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، دار الكتاب العربي، ط1، 2011، د.م.ن.

21-شحادة عبد الكريم: **صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي**، أكاديميا للنشر والطباعة، د.ط، بيروت-لبنان، 2005.

22-عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2012.

23-العروق محمد الهادي: **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى، ط ج م م، د.م.ن، د.ت.ن.

24-العوامر إبراهيم محمد الساسي: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، شالة – الأبيار، الجزائر، 2007.

25-فركوس صالح: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، عنابة، 2005.

26-محرز أمين: **الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.ت.ن.

27-فارس محمد خير الدين: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث**، ط1، جامعة دمشق، 1969.

28-محمود الحاج قاسم محمد: **البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي**، دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، العراق، 1441هـ / 2020م.

29-الهلالي الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط، الجزائر، 1964، ج3.

30-يايوش جعفر والشمري غازي: **الطبيب ابن زهر الأندلسي رائد التجريب**، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 1439هـ / 2017م.

رابعا/ المراجع المعربة:

1-التر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1409هـ، 1989م.

2-جون وولف: **الجزائر وأوروبا 1500-1830**، تر وتع: أبو القاسم سعدالله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر 2009.

3-روبرت فورنو: **عبد الكريم أمير الريف قصة التحدي العربي للاستعمار الفرنسي والاسباني**، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، د.ط، د.م.ن، د.ت.ن.

4-فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي(1737-1832)**، تر وتق: أبو العيد دودو، عاصمة الثقافة العربية، د.ط، الجزائر، 2007.

5-هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا**، تر وتق: أبو العبيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1976.

6-وليم سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، د.ط، الجزائر، 2006.

الأطروحات والرسائل والمذكرات الأكاديمية:

- الأطروحات:

1-بكاي عبد المالك: **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن7-10هـ/13-16م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إش: مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م.

2-بن صحراوي كمال: **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، إش: دحو فغرور، 2012-2013م.

3-بودريعة ياسين: **الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800) دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إش: فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر، 2016-2017.

4-جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال أرشيف العثماني 1520-1830**، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الحديث المعاصر، إش: صحراوي عبد القادر، جامعة جيلالي يابس، سيدي بلعباس، 2017-2018.

5-حماش خليفة: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إش: فاطمة الزهراء قشي، جامعة منتوري -قسنطينة، 1427هـ/ 2006م.

6-سعيدي خير الدين: **المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص تاريخ حيث ومعاصر، إش: شايب قدادرة، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2018-2019.

7-آل سيد الشيخ سعاد: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إش: أحمد الحمدي، جامعة وهران، 1440-1441هـ/ 2019-2020م.

8-شواورة أحمد اسبيتان: **مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد، إش: خليل رقوع، جامعة مؤتة، 2015.

9-صديقي محمد: **الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين 5-7هـ / 11-13م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط والحديث، إش: عاشوري قمعون، جامعة حمه لخضر، الوادي، 1441-1442هـ / 2020-2021م.

10-غطاس عائشة: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية – اقتصادية**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إش: مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر، 2000-2001.

11-قرباج بلقاسم: **الأسرى الأوروبيون بالجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: بوغفالة ودان، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015-2016.

12-القشاعي فلة موساوي: **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2003-2004م.

13-قندوز عبد القادر: **الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي (1830-1914)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش:بوشنافي محمد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017.

14-لعبيدي علي: **الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش:أرزقي شويتام، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2- بوزريعة، 2018-2019.

15-مجاهد يمينة: **تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: فغرور دحو، جامعة وهران1-أحمد بن بلة، 2017- 2018.

- الرسائل:

1-بديرة عادل: **بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرهما على السلوك والذهنيات) من ق 4 إلى ق 7هـ، 10-13م**، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إش: مفتاح خلفات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 1438-1439هـ، 2017-2018م.

2-بوحجرة عثمان: **الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م (مقاربة اجتماعية)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إش: دادة محمد، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2014-2015.

3-خبرارة نبيلة: **تطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الريفي، إش: حسين لوشن، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (1431-1432هـ / 2010-2011م).

4-دغموش كاميلية: **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)**، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث، إش: محمد دادة، 2013-2014.

5-سعيدان جمال الدين: **الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين (1830-1919)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: كريمة بن حسين، جامعة منتوري قسنطينة.

6-عبدي لخضر: **القبيلة والطريقة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: مكحلي محمد، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 1435-1436هـ /2014-2015م.

7-عميورسكينة: **ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص تاريخ الريف والبادية، إش: إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة، 1433-1434هـ/2012-2013م.

8-قبابلة مبارك: **تطور مواد البناء وأساليب البناء في العمارة الصحراوية**، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثر، تخصص آثار صحراوية، إش: بن قربة صالح، جامعة بسكرة، 2009-2010.

9-القشاعي فلة موساوي: **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إش: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1989-1990.

10-مزدور سمية: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ / 1192-1520)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إش: محمد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، (1429-1430هـ / 2008-2009م).

- **المذكرات:**

1-بار إيمان وبار حليمة: **داء الطاعون في الغرب الجزائري (1790-1853) دراسة اجتماعية واقتصادية** -، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، إش: ميسوم بلقاسم، 2022-2023م.

2-بوباشة حفصة وعقبى الزهرة: **الكوارث الطبيعية وتأثيرها على سكان الجزائر خلال العهد العثماني في القرنين 18و19**، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ الدولة العثمانية، إش: كريم مقنوش، جامعة يحي فارس، المدية، 1439-1440هـ/ 2018-2019م.

3-زلاقي وئام وزغبة فاطمة الزهراء: **علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الممتنعة (1800-1830)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022.

4-سالمي نهلة: **الواقع الصحي وممارسة الطب في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ حديث، إش: صالح لميش، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022م.

5-سليماني خضرة وعبد الحاكم عفاف: **جوانب من الحياة الاجتماعية بمدينة قسنطينة (1671-1830)**، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، إش: ربيعة قريزة، جامعة غرداية، 1439-1440هـ/ 2018-2019.

6-شنيني سامية: **الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني 1790-1830**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إش: فتيحة شلوق، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2017/2018.

7-بن صالح أحلام وتاورطة راضية: **التدابير الوقائية من الأوبئة والأمراض في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية العهد الكولونيالي (1800-1900م)**، مذكرة ماستر في تاريخ الوطن العربي المعاصر، إش: رضا حوحو، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020-2021.

8-عتوان حفيظة وإرسان ربيعة: **الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830) أسبابها وانعكاساتها**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إش: أمين محرز، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018-2019.

المجلات:

1-أخلف زينب: "الطب الشعبي في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط "إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة""، **مجلة رفوف**، مج10، ع2، جويلية2022.

2-آيت حبوش حميد: "الواقع الصحي للجزائر العثمانية من خلال المصادر الأوروبية"، **مجلة آفاق فكرية**، مج9، ع2 خاص، 2021.

3-بوشريبشة حياة وبلعالية ميلود: "أمراض النساء والأطفال في مدينة قسنطينة على ضوء سجل الوفيات(1840-1841)"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج6، ع1، 2022.

4-بوطي جمال: "وباء الطاعون الأسود وانعكاساته على المجتمع الجزائري خلال القرنين 14-15م"، **مجلة آفاق فكرية**، ج9، ع2 خاص، 2021.

5-بوعزيز يحي:" أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، **مجلة الثقافة**، ع63، مايو، يونيو1981م.

6 -بوعزيز يحي: "الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، مجلة الثقافة، ع80، 1مارس1984، الجزائر.

7-بوعزيز يحي: "المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، **مجلة اللغة العربية**، ع16.

8-بلعقون محمد الصالح:" نظام الأراضي الفلاحية في عهد الدولة العثمانية بالجزائر (1519-1830م)"، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**، مج 6، ع3، جانفي2022.

9-بلعيدي عز الدين: "التجارة الخارجية للجزائر أواخر العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية والأثرية**، مج 03، ع 01، 2023/04/30.

10-بولغيث محمد الصديق: "المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي ببايلك الغرب الجزائري في أواخر القرن الثامن عشر"، **مجلة عصور الجديدة**، مج11، ع1، مارس 1442هـ/ 2021م.

11-تمليكشت هجيرة: "مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية للجزائر (مساكن قصر تمنطيط نموذجا)"، **مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب(15)**.

12-تيتة ليلى: "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع17، ديسمبر 2014.

13-بن جدو عبد الفتاح: "نظرة على الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج 06، ع 01، 2022.

14-خضور عبد الرزاق: "التشافي بدعاء الأولياء في المغربين الأدنى والأقصى خلال العصر الوسيط " الدواعي والأنماط"، **مجلة الإحياء**، م21، ع28، جانفي2021.

15-خضير عقبة: "النشاط الاقتصادي بالجزائر في العهد العثماني ما بين القرن 17-19م –دراسة تاريخية –"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، ع06.

16-خيراني صلاح: "الحجر الصحي "الكرنتينة" في مواجهة الأمراض والأوبئة بالدولة العثمانية"، **مجلة آفاق فكرية**، ج9، ع2 خاص، 2021.

17-دباب زهية وبرويس وردة: "السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيوتاريخية"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج21، ع1، 2021.

18-رزيم صدام: "النظافة كممارسة حضارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، ج3، ع2، سبتمبر 2020.

19-رشيدة شدري معمر: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية1518-1830م"، **مجلة معارف**، ع20، جوان 2016.

20-زبيدي مباركة وثامر محمد عبد الرؤوف: "الأمراض والأوبئة المتواجدة في منطقة الجنوب الشرقي من الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بين 1900-1962 (بسكرة – الوادي – ورقلة)"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج14، ع1، 2023/01/31.

21-زيود حازم حسني: "مفهوم القرية ودلالتها في القرءان الكريم دراسة موضوعية"، **مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث**، مج 02، ع 02، 2016.

22-سوالي سامية وبوخوش صبحية: "الحياة الثقافية في الجزائر في عهد الداي محمد بن عثمان (1766-1791)"، **مجلة الباحث**، مج 15، ع2، 2023.

23-آل سيد الشيخ سعاد: "ملامح من المظاهر العمرانية بالريف والبادية في الجزائر العثمانية قراءة في بعض كتب الرحلة"، **مجلة الدراسات التاريخية**، مج 10، ع02، 03 أكتوبر، 1444هـ-2022م.

24-شافو رضوان ولمقدم عمر: "نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج1، ع1، جوان 2017.

25-شرويك محمد الأمين: "جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية"، **مجلة العوم الإسلامية والحضارة**، ع8، جوان 2018.

26-شويتام أرزقي: "طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519-1830)"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مج4، ع1، جامعة الجزائر2، جوان2022.

27-طوبال فاطمة الزهراء: "الأمراض والأوبئة بالجزائر فترة الحكم العثماني من خلال البحوث الطبية والطرق العلاجية لابن حمادوش الجزائري"، **مجلة آفاق فكرية**، مج9، ع2 خاص، 30/ 2023/10.

28-العبيان صلاح بن عبد الله: "أخلاقيات المسلم في التعامل مع الأوبئة، **مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية**"، ع83، ربيع الثاني1442/ديسمبر2020م.

29-علامة صليحة: "تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون-الجذري-التيفوس-الملاريا)"، **مجلة القرطاس**، ع2، جانفي2015.

30-عمراوي جمال الدين: "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية بين الحجر الصحي والتطبيب"، **مجلة آفاق فكرية**، م9، ع2 خاص، 2021.

31-غراف هجيرة: "السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر الحجر الصحي أنموذجا"، **مجلة القرطاس للدراسات الفكرية الحضارية**، مج7، ع2، 2020/07/30.

32-غطاس عائشة: "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة الثقافة**، ع76، السنة الثالثة عشر، رمضان -شوال 1403هـ/ يوليو-أغسطس1983.

33-فرحات الكاملة: "وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج6، ع2، أكتوبر2022.

34-فلاح سفيان وحمدادو بن عمر: "الأوبئة في الجزائر العثمانية قراءة أنثروبولوجية دينية في محتوى المصادر التاريخية"، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، مج18، ع1، 15 جانفي 2022.

35-قحموص نوال وبن بريح أمال: "الحجر الصحي كتدبير وقائي في مواجهة الأوبئة –جائحة كورونا نموذجا-"، **مجلة الدراسات القانونية المقارنة**، مج7، ع1، 2021.

36-قدوري عبد الرحمان وآخرون: "دراسة إحصائية للأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1552-1822) – وباء الطاعون أنموذجا –"، **سلسلة أعمال مؤتمر الأوبئة عبر التاريخ**، دار خيال للنشر والتوزيع، برج بوعريريج -الجزائر.

37-القشاعي فلة موساوي: "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، **مجلة دراسات إنسانية1**.

38-لزغم فوزية: "الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني"، جامعة ابن خلدون، تيارت.

39-مخطاري علي: "الطاعون في الجزائر بين 1700-1830"، **مجلة آفاق فكرية**، مج9، ع2 خاص، 2021.

40-مردم بك فاروق: "الدولة العثمانية من الطاعون إلى الكوليرا إلى الحمى الصفراء"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، ع123، صيف 2020.

41-نفطي وافية: "مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة آفاق فكرية**، مج5، ع10، ماي 2019.

42-نواصر نصيرة: "لمحات عن الوضع التاريخي في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني"، **مجلة البحوث التاريخية**، مج06، ع 02، 31 ديسمبر، 2022.

43-يوسفي صرهودة: "سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيالة الجزائر خلال القرن 18-19"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج6، ع1، 2022.

رابعا: المعاجم والقواميس

1-البستاني بطرس: **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية.**

2-جبران مسعود: **الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته رفقا لحروفها الأولى**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، مارس1992.

3-الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، راجعه: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ -2009م.

4-الزبيدي محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: عبد الفتاح الحلو، مر: مصطفى مجاري، التراث العربي، الكويت، 1406-1986.

5-الفيروزبادي: **القاموس المحيط**، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشايب، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429، 2008.

6-الفراهيدي الخليل بن أحمد: **كتاب العين مرتب على حروف المعجم**، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ / 2003م

7-نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت لبنان، 1400هـ -1980.

8-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، 1425، 2004.

9-ابن منظور: **لسان العرب**، أدب الحوزة، مج07، إيران، محرم 1405هـ.

خامسا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1-JEAN MARCHIKA: **La Peste en Afrique septenteionaie, histoire de la peste en Algérie l363a 1830**, Alger carbonel, 1927.

2-H.D.DEGRAMMONT :Histoire **d'Alger.sous la Domination Turque (1515-1830)** ,PARIS, 1887.

3-J. Brault: **pathologie ET Hygiène**, Typographie Adolphe Jordan, Alger, 1905.

4- De Haedo : (Fray Diego) : **Topographie et Histoire Générale d'Alger Tard**, De l'Espagnol par le DR Monnereau et ABerbrugger. In. R.A N 15 Année 1871.

5-DR.SHAW :**Voyage dane la Rrgence d'Alger**، Traduit de l'anglais par J. Mac. Carthy, Ed. Bous lama, Tunis 1980.

6-Daumas: **Mœurs et cputumes de l'Algérie**, librairie de L.Hachette et c , paris , 1853 .

الملخص

الملخص:

اختلفت الحياة العامة بالأرياف عن الحياة بالمدن، غير أن كلاهما شهد سنوات صعبة ظهرت فيها أوبئة وأمراض فتاكة ضربت بقوة أفنت البلاد والعباد خاصة في الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومن الأمراض والأوبئة التي ظهرت آنذاك نجد الطاعون، حمى المستنقعات، الجذري، الأمراض الصدرية، والتي خلفت آثارا جسيمة في شتى مجالات الحياة، ومست مختلف فئات المجتمع فلم يسلم منها كبيرا ولا صغيرا، خاصة المجتمع الريفي الذي اتسم بالبدائية ما جعله الأرض الخصبة لهذه الأمراض رغم محاولة سكانه مواجهة هذا الخطر الذي ألَّم به، وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرف على مختلف أدوات وسبل الاحتراز والعلاج التي كان يعتمدها سكان الأرياف بشكل خاص لمواجهة الأوبئة والأمراض، هذه السبل التي تأرجحت بين الاستهتار تارة والصرامة تارة أخرى، وكذلك التعرف على السياسة المعتمدة من طرف الحكام تجاه الوضع الصحي المتردي بالنظر لانشغالاتهم السياسية والعسكرية في هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: الأرياف، الأوبئة، الأمراض، الوضع الصحي

Abstract :

Public life in the countrysides and cities were differ and both of them saw difficult years in which epidemics and deadly diseases spread which led to destroy the whole country , especially in the period extending between the 17th and 18th centuries .Among the diseases and epidemics that appeared at that time ,we mention : the plague , malaria ,smallpox , and chest diseases which had a huge impacts in various fields of theire life and affected diffuent age groups of society were spared especially rural society , which was characterized by primitiveness which made it as a source of all these diseases despite of its people to struggle this danger that faced them .

Through this study we have tried to identify the various tools and methods of safety and treatment that were adopted by rural residents in particular to face both epidemics and diseases .This methods caractrized by a certain amount of recklessness and rigor as well as to know about the policy which adopted by the rulers of this period towards the difficult health situations according to their political and military preoccupation during this period.

Keywords : The countrysides ,Epidemic , Diseases ,Health situations .

الفهرس

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	7-1
مدخل: الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائر العثمانية	
أولا: الأوضاع السياسية	12-09
ثانيا: الأوضاع الاقتصادية	16-12
الفصل الأول: مفاهيم ومعطيات أولية حول الريف الجزائري	
المبحث الأول: تعريف الريف والبادية والفرق بينهما	
أولا: تعريف الريف	18،19
ثانيا: تعريف البادية	19، 20
المبحث الثاني: الفئات السكانية للمجتمع الريفي	
أولا: العرب والأمازيغ	23
ثانيا: القبائل (المخزن، الرعية، الممتنعة، المتحالفة، المرابطين، الأجواد)	28-24
المبحث الثالث: الأنماط السكنية بأرياف الجزائر خلال العهد العثماني	
أولا: القرى التلية	30،29
ثانيا: القرى الصحراوية (القصور والبيوت المعزولة)	32-30
ثالثا: الدواوير والخيم والأكواخ	32،33
الفصل الثاني: الأوبئة والأمراض ظروفها وطرق انتشارها بالريف الجزائري خلال القرنين 17،18م	
المبحث الأول: تعريف المرض والوباء	

أولا: تعريف المرض	37-35
ثانيا: تعريف الوباء	37،38
ثالثا: جدلية الفرق بين الوباء والطاعون	39،38
المبحث الثاني: الظروف المؤثرة على الأوضاع الصحية بالأرياف الجزائرية وطرق وصول الأوبئة إليها	
أولا: الظروف الطبيعية (الموقع، المناخ، الكوارث الطبيعية)	46-40
ثانيا: الظروف الاجتماعية (الغذاء، اللباس، التعليم)	53 -46
ثالثا: طرق انتشار الأمراض والأوبئة	53-51
المبحث الثالث: الأوبئة والأمراض المنتشرة بالأرياف الجزائرية خلال القرنين 17و 18م	
أولا: الأوبئة	
1/ الطاعون	59-54
2/ الجذري	59،60
3/ التيفوس	60،61
ثانيا: الأمراض	
1/ الحمى	63-61
2/ أمراض العيون	64،63
3/ الأمراض الصدرية	64،65
4/ الأمراض الجلدية، النقرس، العضال	65
5/ الصداع	66

الفصل الثالث: سبل العلاج من الأوبئة والأمراض وانعكاساتها على الريف الجزائري	
المبحث الأول: نظرة سكان الأرياف للأمراض والأوبئة وطرق علاجها	
أولا: نظرة سكان الأرياف للأوبئة والأمراض	71-68
ثانيا: تصنيف الأمراض ومواجهتها من قبل السلطة والعامة	
1/ مواجهة الأوبئة والأمراض من قبل السلطة	76-71
2/ مواجهة الأوبئة والأمراض من قبل العامة	77،76
المبحث الثاني: وسائل وطرق العلاج من الأوبئة والأمراض	
أولا: اللجوء للأطباء والمشعوذين	85-79
ثانيا: لصيدلة والتداوي بالأعشاب	90-86
ثالثا: لعلاج ببركة الأولياء الصالحين وكرامتهم	91،90
المبحث الثالث: انعكاس الوضع الصحي على الجوانب العامة للريف الجزائري	
أولا: انعكاس الأوبئة والأمراض على الأنشطة الاقتصادية	93،92
ثانيا: انعكاس الأوبئة والأمراض على الأوضاع الاجتماعية والثقافية	96-93

انعكاس الأوبئة والأمراض على الجانب العسكري	97،96
خاتمة	101-99
الملاحق	111-103
قائمة المصادر والمراجع	131-113
الملخص	134،133
الفهرس	139-136